٣٤

مجلة
روايات أحلام

فراشة المحبة

مواعيد النار

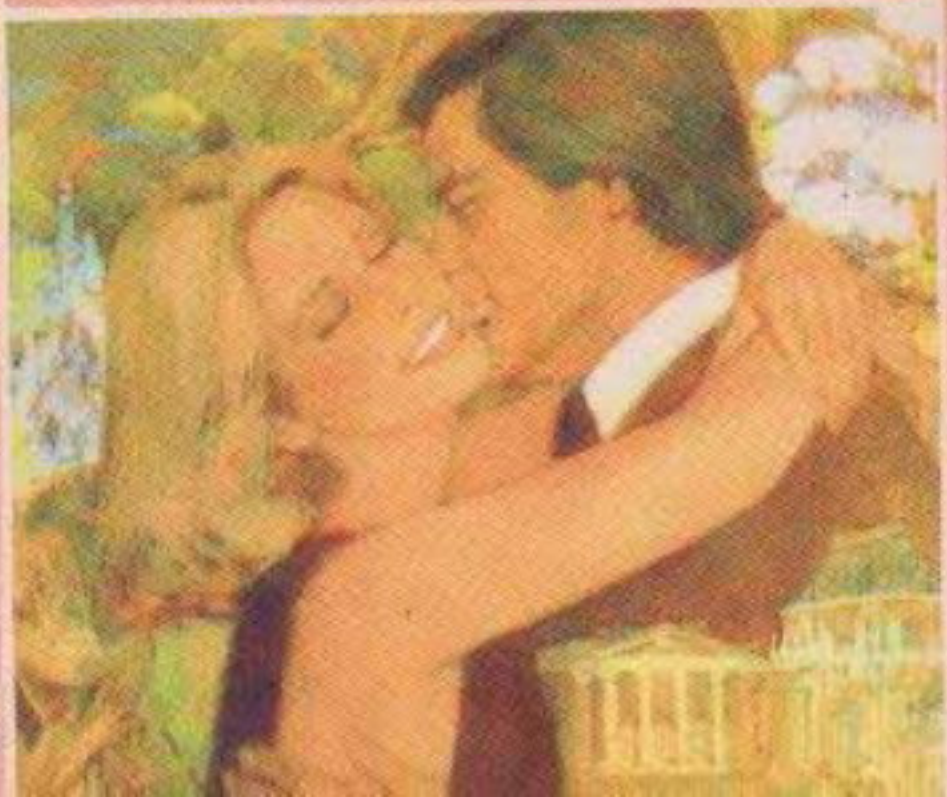

liilas.com

مجلة روايات أحلام

فراشة المحبة

مواعيد النار

٥ ـ يبدو أن قدرك، يا آنسة، هو التعرض للحوادث دائماً.

ـ لكن عائلتك وحدها هي التي تسبّب لي الحوادث.»

انتهى لقاء أليسا الأول برون آردين نهاية مؤسفة، فقد اشتعلت النار في ثيابها وغرقت في بحر من لهب. واستمر القدر يلعب لعبته، إذ كانت لقاءاتهما التالية تزيد من تأجج النار، إنما هذه المرة في قلبها.

لكن نيران الحب أطفأتها اتهامات رون الظالمة، فتركت أليسا كل شيء ورحلت وحيدة.

لبنان ١٥٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل. س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١.٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

فراشة المحبة

١ - بحر من لهب

هبت ريح عاصفة في الشارع. فأسرعت أليسا لتجتازه قاصدة أحد مباني الشركة التي تعمل فيها. عندما وصلت الى المبنى المنشود، فتحت الباب ثم ولجت الردهة المرمرية. لكن ما أدهشها أن المصاعد جميعها للأسف معطلة.

عادت الى وسط الردهة وهي تقول لنفسها: «ليتني لم أوافق على حضور حفلة الميلاد الراقصة هذه» ولم تكن المرة الأولى التي تمنت فيها هذه الأمنية.

منذ شهرين فقط بدأت أليسا العمل سكرتيرة في هذه الشركة التي تعتبر من أهم وأكبر الشركات في البلد.

مع أن وظيفتها الرتيبة المملة ذات الراتب المرتفع قد تقودها الى مركز أرفع مستوى، هذا إذا استطاعت أن تصبر على الضجر، إلا أنها ليست كالتي كانت تزاولها لدى والدها، لكنها على الاقل ستمكنها من كسب قوتها. - يوماً ما قد تقبل العرض الذي تلقته من بروفسور اخر، كان صديق والدها، أما حالياً فتفضل العمل في مجال اخر غير الابحاث التقنية التي زاولتها لتبتعد عن الذكريات التي تحاول نسيانها. فحياتها أمامها، والتطلع الى الماضي لن يفيد المستقبل.

سمعت صوتاً من الخلف. استدارت فرأت رجلاً في بزة رسمية يدخل من الباب الرئيسي. بينما كانت تراقبه التفت بحيرة الى أليسا ثم حثّ الخطى في الممر، وخشية من أن يختفي عن ناظريها، رفعت

www.liilas.com

تنورتها الطويلة ولحقته... قسم الدعاية والاعلان ليس في هذا المبنى، وحين علمت أن الحفل في هذا المبنى، لم تعتقد أنها ستجد صعوبة في إيجاد قاعة الطعام.. لكنها الآن أدركت أن مكاتب الشركة الرئيسية قد تقارن بحجم مبنى البيت الابيض؟

دخل الرجل الذي تبعته الى غرفة تقع في نهاية ممر الطابق الاول عندها أدركت أن هذا المكان لن يكون أبداً قاعة طعام الموظفين.. لكنها اقتربت من الباب فسمعت ضجيجاً صادراً عن عدة رجال. استرقت النظر الى الداخل فوجدت جماعة يتحلقون حول طاولة اجتماعات ويتناولون القهوة.. كان معظمهم غريباً عنها، فأدركت أنهم حتماً من الفئة التنفيذية في الشركة.

تقدم الرجل فحيا رجلاً آخر يجلس الى رأس الطاولة، يوشك على الشعال سيكار، فكبحت ألِسا شهقة تعجب، لأنها عرفته فهو رون آردين، رئيس مجلس إدارة الشركة ومديرها المسؤول. إنها المرة الأولى التي تراه فيها شخصياً، فهي ما رأت إلا صوره في الصحف، لذا حدقت فيه تحس بجاذبيته التي جعلته مميزاً عن الموجودين.

حط شعاع ضوء فوق رأسه، فأثار شعره البني وبشرته الفاتحة اللون. كل شيء في الرجل بدا فاتح اللون، بشرته، وعيناه الرماديتان الغريبتان ويداه المديدتان اللتان كانتا تعالجان علبة ثقاب ليشعل عوداً وضعه على مقدمة السيكار. وكانت تعلم أنه أهم رجل في المدينة، يُعد نابغة مالية ذا قدرة غير انسانية تقريباً في طموحه.

وكأنما أحس بأن هناك من يراقبه، رفع رأسه، فارتدت ألِسا بسرعة. وهي موقنة من أنها قصدت المكان الخاطىء. ومع ذلك بقيت دون حراك تتوق الى رؤية المزيد من رجل لم يكن حتى الآن بالنسبة لها سوى صورة مجهولة.

قال الرجل الذي تبعته:

ـ ما هذا يا رون؟ حفلة خاصة؟ ظننت الحفلة في الطابق

العلوي.

ـ هذا صحيح. لكنني استحسنت الاجتماع أولاً لاحتساء القهوة قبل أن ننضم الى الفوضى القائمة فوق.

كان صوت رون آردين بارداً، دقيقاً في معانيه كمظهره، ولهجته تنم عن ثقافة، واللكنة عن تشدق.

ـ وكأنك لست متشوقاً لها.

نفض رون رماداً عن قميصه بحركة أنيقة:

ـ هذا صحيح... فأنا أفضل حضور خمسة اجتماعات لمجلس الادارة على الرقص مع إحدى الطابعات الضاحكات.

فتدخل رجل أشيب الشعر:

ـ إياك أن تتركهن يسمعن قولك هذا! فهن ينتظرن بفارغ الصبر الفرصة التي تسنح لهن برؤية أفراد الطبقة العليا.

ـ قد يكون هذا صحيحاً، لكن غروري لا يرضيه أن أكون فتى أحلام قسم الطباعة! والحديث بيننا، أجد أن هذه الحفلة أمقت وأسأم حفلة على مدار السنة.

ارتدت ألِسا على عقبيها محمرة الوجه، وركضت عبر الممر، وهمها كل همها الهرب. كيف يجرؤ رون آردين على التكلم عن موظفاته بمثل هذا الاحتقار؟ إنه يجد الرقص مملاً إذن، أليس كذلك؟ ربما يعتبر التحدث الى أشخاص يكدحون اسبوعاً كاملاً ليكسبوا ما يصرفه هو على تدخين سيكاره اليومي مضيعة لوقته الثمين.

أعماها الغضب وأوصلها الى الفناء ثانية دون أن تدري. توقفت لتلتقط أنفاسها.. فإذا بها تسمع وقع خطوات وراءها فالتفتت مذعورة خشية أن تكون أفكارها قد اتصلت بأفكار رون آردين نفسه! لكن الرجل الذي تبعها كان حارساً كهلاً:

ـ أضعتِ طريقك آنسة؟

ـ هذا ما أخشاه.

www.liilas.com

ـ لقد ولجت المدخل الخطأ، فهذا مخصص للمديرين. وإذا كنت لا تمانعين في السير قليلاً فسأصحبك عبر هذا البناء الى المدخل الصحيح.

تبعته أليسا عبر ممرات متشابكة أوصلتهما الى ردهة أخرى، أصغر من الأولى تواجه صفاً آخر من المصاعد.

ـ إن أيّ مصعد منها سيحملك الى الأعلى وعندها لن تضيعي ثانية.

بعد بضع ثوانٍ كانت أليسا في الطابق الخامس عشر. خرجت من المصعد فأذهلتها جمهرة الحاضرين وارتفاع أصواتهم. تركت معطفها في غرفة الملابس، ثم قصدت قاعة الطعام التي أعدت لهذه المناسبة حتى بدت كحديقة في فينيسيا. جالت عيناها في الراقصين، وعندما لم تتعرف الى أحد، بدأت تتساءل إن كانت سترى شخصاً تعرفه. في هذه اللحظة بالذات ترك رجل كهل حشداً من الناس ثم دنا منها.. إنه السيد غودفري، مسؤول المحاسبة في قسمها.

ـ آنسة وابتنغ؟ أنت الآنسة وابتنغ لا شك؟

فابتسمت أليسا تفكر سعيدة في نجاح تجربة إيريكا صديقتها التي تشاطرها الشقة، منذ وفاة والدها، فقد تناقشتا بشأن ما سترتديه أليسا للحفلة، وقالت لها:

ـ صدقاً.. إن ثيابك جميعها لا تناسب حفلة راقصة. وأنا أعتقد أنك إذا اشتريت ثوباً جديداً أو زرت مزيناً لن تفلسي.. لن أسمح لك بعد الآن بافساد شعرك الجميل!

حتى عندما كانت تربط شعرها كان يومض كحرير مشتعل. لكنه الآن بعد أن أصبح منسدلاً، حراً، فقد طاف ذهبياً مضيئاً، مضفياً على وجهها توهجاً ورديا. وسمعت الرجل يقول:

ـ ماذا فعلت بنفسك بحق الله؟

ـ لا أضع نظارتي، وشعري تركته ينسدل حراً. بعد أن كنت

أربطه الى الخلف، جاعلة بذلك لونه يبدو أقل وضوحاً.

خطا السيد غودفري خطوة الى الامام متمنياً اخفاء بضع سنوات من عمره الذي يقارب الخمسين.

ـ هذا هو اللون الذي أود اظهاره في الاعلان الجديد عن صابون الشعر الجديد.

فضحكت أليسا، لكن ردها توقف بسبب تصاعد ضجيج مفاجيء... التفتت الى مصدر الصوت فوجدت جسد رون آردين الطويل يسد باب المدخل، وفتاة حمراء الشعر تقف الى جانبه مرتدية ثوباً أبيض جميلاً... فتساءلت عما إذا كانت خطيبته، لكن قبل أن تراودها الفكرة، تمتم السيد غودفري قائلاً:

ـ هذه شقيقته دوروثي.. إنه يكرّس نفسه لها.

هزت أليسا رأسها، وهي ما تزال تنظر الى رئيس مجلس الادارة الذي تبعه حشد من الرجال الذين رأتهم في غرفة الاجتماعات. بدوا كالحاشية وراءه، ففي دخوله القاعة جو ملوكي: ملك تحيط به بطانته ويحييه رعاياه. عندما رأته يبتسم، ثم يتوقف ليكلّم شخصاً تعرف إليه، صعُب عليها أن تصدق أنه ذلك الشخص نفسه الذي وصف السهرة بالمملة إذ لا أثر للملل على وجهه الآن.

أمعنت أليسا النظر مجدداً بالرجل الواثق من نفسه وبالفتاة الانيقة التي الى جانبه.. وقالت للسيدة غودفري:

ـ ما من أحد قد يظن أنهما شقيقان.

فرد السيد غودفري:

ـ إنها أخته لا شقيقته، أخته من أبيه!

ـ أتعجب لماذا لم تتزوج بعد.. إنها بهذا الجمال الخلاب وبمال أبيها قد تصبح كونتيسة.

توقفت أليسا عن الكلام قليلاً ثم أردفت:

ـ بل أميرة حتى. هذا إذا لم تعترض على الزواج من اسباني أو

www.liilas.com

فرنسي.

ورد غودفري:

- قد لا تعترض هي بل يعترض السيد آردين... فهو صارم جداً معها.

فتمتمت الفتاة الأخرى:

- على الارجح يود أن يطمئن الى أنها ستتزوج بهدف الحب لا المال.

قالت أليسا:

- رون آردين لن يجد مثل هذه الصعوبة، فما من امرأة قد تتزوجه حباً به.

فنظر إليها غودفري باستغراب.

- إن الفتيات اللاتي في مثل سنك يجدنه جذاباً. فهو مليونير في الخامسة والثلاثين من عمره.

- أظن أن هناك أمراً غير انساني في عبقري مالي.

في هذا الوقت كان رون آردين قد وصل الى طاولة المديرين، فلما جلس عاد الرقص من جديد. اختطف غودفري أليسا للرقص، لكن عندما أصبحت الموسيقى لحناً سريعاً قاطعهما شاب يطلب مراقصتها. لكنه بدوره لم تتح له الفرصة، فعند أول دورة في حلبة الرقص، تقدم آخر ودعاها للرقص. وتمتعت أليسا بمشاعر النصر لأنها مرغوبة... ودارت مرفوعة الرأس، لامعة العينين، من ذراع الى أخرى، ناسية التعليقات الكريهة التي سمعتها من رون آردين. فالليلة تتذوق للمرة الأولى طعم نجاح أنوثتها لذا لن تدع شيئاً يفسد عليها لذتها هذه. فليبارك الله إيريكا على نصيحتها.. في الغد، ستشتري خزانة ثياب جديدة!

وبدون أي توقع دوّى صوت الطبول، وتوقفت الموسيقى ليعلن أحدهم عن رقصة الدوران التي يتبدل فيها الشريك عند كل دورة.

حاولت أليسا الانسحاب خجلاً، لكن إحدى زميلاتها جذبتها لتنضم الى الفتيات في الحلقة الداخلية.. بدا الرجل أقل خجلاً بالطبع، وتلقت أليسا أكثر من نظرة اعجاب. وبدأت الموسيقى تعزف، ودارت الحلقتان متعاكستين، وتساءلت أليسا من سيكون شريكها يا ترى؟ حبست أنفاسها عندما مر رجل بدين قصير أمامها... فجأة توقفت الموسيقى ثم وجدت نفسها في مواجهة رجل أشقر الشعر عريض المنكبين، قال لها وهو يستدير معها في رقصة سامبا قديمة الطراز:

- اسمي جاك هاريس.

- وأنا أليسا وايتنغ. أعمل في دائرة الدعاية.

- أما أنا فلا أعمل للشركة، عادة. مع إنني أقوم بعمل مهم هذا المساء.

فضحكت:

- لا تقل لي إن آردين استأجر مضيفين شباب!

- في الواقع لا. إلا إنها فكرة رائعة لو فعل! فلا أطيق أن أرى فتيات جميلات يقفن كالزهور المعلقة على الجدران، لعدم وجود ما يكفي من رجال للرقص معهن. لكن ما جئت أفعله هنا في الواقع هو التقاط صور الحفلة.

جذبها إليه قليلاً، لكنها كانت قد شهقت عند سماع كلمة «الصور».

- يا لغبائي! كان يجب أن أعرفك فوراً.

- لست أدري السبب. فأنا أفضل أن يتعرف الناس الى عملي لا الى اسمي.

- لكنني أعرف عملك جيداً. فأنت مصور رائع سيد هاريس.. وأظن أنك...!

وتوقفت الموسيقى، فامتنع عن الكلام. ثم قال وهو يتحرك

للانضمام الى الدائرة من جديد:

ـ أراك لاحقاً!

بينما كانت غارقة بالتفكير في المصور. توقفت الموسيقى من جديد، وعندما رفعت بصرها لترى شريكها الجديد، كادت تنهار لأنها وجدت المدير المسؤول بشحمه ولحمه أمامها.

آه.. لا! لا يمكن أن يحدث هذا! لكنه حدث. أحنى رأسه لها، فتقدمت منه وهي تحس بيده الباردة تمسك بيدها، عندها تذكرت تلك الكراهية التي انبعثت من صوته حين ذكر مثل هذه الاحتفالات.. وأحست بالانطواء لأنها خشيت أن تكون باعثاً على سأمه، وتساءلت عما سيقوله لو أطلعته على معرفتها بما يشعر به بالتحديد.

قال لها فجأة:

ـ ألعلك تتمتعين بوقتك؟

ـ بقدر تمتعك أنت سيد آردين.. إذ يبدو أنك تنظر الى هذا الاحتفال «الساتورني» نظرة سيئة.

فانتفض، ثم نظر إليها متعجباً وكأنه يحس للمرة الأولى بأنه يمسك بين ذراعيه فتاة من لحم ودم لا صورة من شمع:

ـ أرجو ألا تقارني حفلتنا هذه بالحفلات الساتورنية الاغريقية المعربدة.. آنسة...!

ـ وايتنغ... بالعكس سيد آردين، فهذه حفلة رائعة وأؤكد لك أن الجميع يثني عليك لأنك نقيمها.

ـ الجميع نعم، أما أنت فلا.

كانت لهجته جافة، وتعابير وجهه متحفظة:

ـ آه.. أبداً. لكنني أستطيع تصور مدى سأمك لأنك محط أنظار دائرة الطباعة، ولأنك مضطر الى التحدث مع جموعهن.

أحست مرة أخرى بانتفاضته.. لكنه كان يسيطر على نفسه بشدة لئلا يظهر تعجبه واستغرابه.

ـ أنا أتمتع بالاحتفالات السنوية كثيراً آنسة وايتنغ.. ويؤسفني أن تظني عكس هذا.

أليسا القديمة ما كانت لترد. لكن الجديدة الجذلى بمظهرها، النشوى بنجاحها، قالت:

ـ لا أظن هذا سيد آردين. فأنا أعرف. سيدي أنت لم تكن حذراً فيما قلته في غرفة الاجتماعات.. لكنك قد لا تحذر وأنت بين زملائك المديرين... أي بين أبناء طبقتك!

في هذه المرة، بلغت ملاحظتها مرماها، فقد شحب لون وجهه.. وهو يقول بطيئاً:

ـ ما حسبت أن هناك من يسترق السمع. لا أعرف ما هو نوع عملك في الشركة آنسة وايتنغ... لكن مهما كان نوعه، فموهبتك ضائعة. يجب أن تكوني صحافية تكتب عواميد الاشاعات للصحف!

أصبح لون أليسا قرمزياً. لكن قبل أن ترد، توقفت الموسيقى وعاد الجميع الى الدائرة من جديد.. كيف تصرفت على هذا النحو السيء؟ لقد كانت سيئة الخلق مثله تماماً. وانشغلت كثيراً في لوم نفسها ثم أتمت الرقصة وهي تشعر بدوار، ولم تعد الى حاضرها إلا بعد أن توقفت الموسيقى نهائياً. وعرفت أنها لن تستطيع البقاء هناك.

نوت الفرار، فشقت طريقها الى حافة حلبة الرقص، لكنها ما كادت تصل الى المخرج حتى ظهر السيد غودفري أمامها.

ـ ها أنت آنسة وايتنغ.. كنت أحدث زوجتي عنك.

اضطرت أليسا للتوقف والابتسام لامرأة مترهلة الوجه تقف قربه. قالت السيدة:

ـ أرجو أن تبقي معنا على الطاولة للعشاء.. فهذا هو البند التالي على جدول الاحتفال.

ـ لكنني... كنت على وشك الذهاب الى البيت.

ـ البيت؟ لا يا صغيرتي، لا يمكنك هذا.. أنت الناجحة الأولى

في هذه الامسية. رافقتك وزوجتي.. وأنا أصرّ على أن تنضمي إلينا.

ما عاد أمامها خيار إلا القبول. وبينما كان يتحدث دقت الطبول بسرعة، ودخلت ساقيات يرتدين لباساً أبيض يحملن الصواني.. فقال السيد غودفري:

- من الافضل أن نأخذ نصيبنا على الفور.

وقاد السيدتان نحو «المقصف».

وكان الجميع يحذون حذوهما، وفي خضم التشاور، انفصلت أليسا عنهما.. ثم لما عادت تحمل طبق طعام في يد، وكوب عصير في الأخرى، راحت تفتش عنهما.

اصطدم بها شاب صغير متهور فاضطرب الكأس في يدها وكاد يقع لولا يد أمسكت به. فقالت:

- شكراً لك.

رفعت نظرها مبتسمة فشاهدت جاك هاريس الذي صاح:

- أنت الفتاة التي أبحث عنها. اتبعيني.

وقادها الى زاوية خافية عن الأعين فارغة إلا من أدوات التصوير الملقاة قرب الجدار.

- اجلسي هنا ولا تتحركي، سأعود بعد دقيقة.

عاد للظهور كما وعد يحمل طبقاً آخر من الطعام، وزجاجة مليئة بالعصير.

- إنه الافضل لا يليق إلا بمن يصفني ويعتبرني الافضل... أليك المزيد من الاطراء؟

- الكثير منه، لكنك لا تحتاج طبعاً الى اطرائي! فأنت في القمة سيد هاريس.

- لكنها قمة منخفضة.. وثمة قمم أعلى تلوح لي في الافق. يبدو وكأنك تعرفين أموراً عن التصوير!

- درست التصوير الفوتوغرافي مع والدي. في الواقع، استخدم

بعض صورك في كتابه الاخير المتعلق بالحضارة الافريقية.

نظر إليها هاريس باستغراب:

- يا إلهي! إذن لهذا كان لاسمك رنين خاص... البروفسور وابتنغ دون شك والدك.

- كان.. لقد مات منذ سنة.

- أنا آسف. كان يجب أن أعرف، لكنني كنت في أوروبا معظم السنة.

وأشار لها بأن تأكل، وتابع:

- أين تعملين في الشركة؟

فضحكت:

- من الافضل أن تسأل ماذا يعملون هم من أجلي! إنهم يدفعون لي أجراً ويقون المال في جيبي.. أنا طابعة في قسم الدعاية.

- أليست هذه وظيفة غير مناسبة لفتاة مثلك؟

فقالت بهدوء:

- لم أتدرب على شيء آخر. كنت أساعد والدي في اعداد كتبه.

- لكنها وظيفة تتطلب مهارة فائقة.

- ليست بوظيفة مطلوبة. كان يمكنني أن أشتغل مع بروفسور جامعي آخر. لكنني بعد موت والدي ما عدت أرغب في القيام بالعمل ذاته لانسان آخر سواه.

هز جاك رأسه متفهما:

- مازلت أعتقد أن مواهبك ضائعة هنا.

- لا تقلق، فبعد هذه الليلة لن تراني أعمل في هذه الشركة. فالسيد أردين شاركني الرقص وكنت فظة معه.

- فظة مع رون؟ لا، أنت تمزحين!

- ليتني كنت أمزح. لقد ضايقني قليلاً فتوترت أعصابي.. إنه أكثر الناس تبجحاً وتكبراً. ما رأيت مثله قط.

هز جاك هاريس رأسه:

ـ أنت مخطئة تماماً. كنت ورون في الجامعة معاً، وأؤكد لك أنه ليس بالمتبجح ولا بالمتكبر.. في الواقع هو خجول، لا تتوتر أعصابه بسهولة ولا يسرع في اتخاذ القرارات. لكن إذا حدث أن طردك ورغبت في وظيفة أخرى فتعالي لمقابلتي. فأنا بحاجة الى عارضة للتصوير الفوتوغرافي.

ـ لكن لم يحدث أن قمت بمثل هذا العمل.

ـ أعلم، ولهذا أود استخدامك. فأنا أخطط لاقامة معرض في نهاية العام، والتقاط صور بعض الاشخاص وعلى هذا ستكونين الانسب لي. فأنت عكس معظم الفتيات اللواتي أعرفهن، فبشعرك وبشرتك المرمرية ستكونين مثالية وطبيعية لما بعد مدرسة رافاييل.

فابتسمت:

ـ لست سيئاً في المديح كذلك.

ـ أنا جاد أليسا.. هل لي أن أناديك باسمك؟

بعد أن هزت رأسها موافقة، أخرج بطاقة من جيبه أعطاها إياها.

ـ ضعي هذه في حقيبتك، وفكري في ما قلته لك. وعندما تقررين، اتصلي بي.

دفع كرسيه الى الوراء ووقف، متوجهاً نحو الجدار ليلتقط معداته:

ـ اعذريني الآن.. يجب أن أبدأ العمل.

ـ ستصور المدير العام؟

ـ لا.. بل سأصور الازياء، فالفقرة القادمة في البرنامج عرض أزياء تقدمه باتريسا روفيني، المصممة الإيطالية المشهورة التي اكتشفها رون آردين.

ـ للسيد آردين أصبع في العديد من الاعمال الكبيرة.

ـ إنها أصابع ناجحة! ولهذا السبب يحبه المساهمون. أراك فيما

بعد.

عندما كانت وحدها في الزاوية، تساءلت عما إذا كان جاداً في عرضه. فهي كمعظم الفتيات، تحب أن ترى نفسها في أعمال متعددة. لكنها لم تفكر قط في أن تكون عارضة. وقبلاً لم تفكر في أن تعمل في مكتب...

كانت ضائعة في تفكيرها، عندما فوجئت بالانوار تنخفض وتخف. أدارت بصرها فإذا بها ترى نوراً قوياً مسلّطاً على فتاة تسير برشاقة قطة. امرأة أنيقة، تقدمت لتقف أمام المذياع، في يدها بياناً مصوراً للأزياء. وما أن أذاعت الاسم الأول، حتى انفتحت ستارة المسرح الصغير، وتقدمت عارضة ترتدي فستاناً حريرياً أحمر.

وتتالت الاثواب الخلابة ثوباً إثر ثوب، فعلمت عندها الاسباب التي حدت رون آردين الى تبني باتريسا روفيني، فاسمها دون شك سيتألق في سماء الموضة. مع أنها لم تكن تهتم عادة بالثياب، فقد وجدت نفسها تمعن النظر فيها منتقدة، تسرح في حلم اليقظة حيث المال لا يشكل عائقاً عن الحصول على ما تريده.

انتهى العرض، بسرعة لم تتوقعها.. وتوجهت أليسا مع سائر النسوة الى غرفة الملابس.. لكنها وجدت صفاً طويلاً أمامها وكل امرأة تسعى الى تهذيب ماكياجها أو الى ترتيب شعرها. فقررت أليسا الانسحاب والانتظار قليلاً. سمعت صوتاً إيقاعياً مرحاً يقول:

ـ إنه زحام رهيب.. أليس كذلك؟ تعالي معي، أعرف مكاناً نستطيع أن نحصل فيه على بعض الخلوة.

التفتت أليسا فإذا بها ترى المتكلمة، وهي دوروثي آردين. فقالت:

ـ لابأس.. سأرجع فيما بعد.

ـ لا تكوني سخيفة.. اتبعيني.

سارت الفتاة بعجرفة قطرية متوقعة الطاعة فارتفت بضع

درجات.. حيث بدت الجدران مغطاة بالخشب، والارض بالسجاد، فعرفت أليسا فوراً إنها في مكاتب الادارة.

توقفت دوروثي آردين أمام باب من خشب الماهوغوني، فتحته بمفتاح صغير أخرجته من حقيبتها ثم دخلت الى حمام نسائي جميل الاثاث. فقالت أليسا محتجة:

ـ في الواقع لا يجب أن أكون هنا.

ـ لماذا لا؟ لا تقلقي أنت برفقتي. لقد شاهدتك تتعشين مع جاك وهذا ما يجعلك صديقة للعائلة! أنا دوروثي آردين. فما اسمك؟

فذكرته أليسا لها، ثم وقفتا جنباً الى جنب أمام المرآة لتصلحا زينتهما.. وأخذت دوروثي تتحدث بمرح، وخلال خمس دقائق أحست أليسا بأنها تعرفها منذ سنوات.. كم تختلف عن أخيها! عادتا معاً الى مكان الاحتفال، وهما تتحدثان.. لكن ما إن وصلتا الى الباب حتى وقفت دوروثي، رافعة يدها الى عنقها:

ـ عقد اللؤلؤ! أين عقد اللؤلؤ؟

واستدارت نحو الممر والدرج لكن أليسا أوقفتها:

ـ لا أظنه وقع منك في الحمام. فأنا لم ألاحظك تضعينه.

ـ أنت واثقة؟

فترددت أليسا غير راغبة في أن تعترف بأنها اعتبرت أن دوروثي متواضعة لأنها لم تضع الحلي.. فهي كانت فظة مع فرد من العائلة، وهذا يكفي.

ـ ربما فقدته أثناء تناول العشاء.

ـ فلنذهب ولنرَ...

استدارت دوروثي يساراً تقصد غرفة جانبية خالية إلا من طاولة وأطباق وكؤوس فارغة، وهي على ما يبدو الغرفة التي تناول فيها رون آردين وحاشيته العشاء. عندئذٍ لم تستطع إلا أن تحس بالغرور لأن جاك هاريس أبعد نفسه عن أصدقائه ليأكل معها.

بدأت دوروثي تفتش بين المقاعد وتحت الطاولة، منحنية على الارض دون الاهتمام بفستانها الرائع.

ـ لست أدري ماذا أفعل إن لم أجدها. إنها لآلىء ثمينة جداً. سيغضب رون كثيراً إن فقدتها.

ـ أليست مؤمّنة؟

ـ بلى.. بالطبع. لكن هذا لن يمنعه عن الغضب، إنه دائماً يهاجمني لأنني عديمة الاكتراث، لكنني لا أستطيع فعل شيء، فهذه طبيعتي!

ارتفع صوت الفتاة ولا حظت أليسا أن وجهها شحب خوفاً، فقالت تحاول التخفيف عنها:

ـ أنا واثقة بأن أخاك سيفهم، فلبعض الناس نزعة الى فقد الاشياء، وهم لا يستطيعون فعل شيء حيال الامر.

ـ هذا ما أقوله باستمرار لرون. لكن هذا ما يزيده غضباً. يقول إنني ما دمت أعرف نفسي فعليّ الحذر والانتباه.

كتمت أليسا رداً حاداً.. إنه المنطق البارد المتعجرف ذاته الذي تتوقعه من رجل مثله... أي طاغية هو يثير في نفس أخته المرحة هذا الرعب. التقطت أنفاسها قليلاً لتمنع غضبها ثم دفعت كرسياً يلاصق الجدار وما إن أبعدته قليلاً حتى اتجذبت عيناها نحو بريق أبيض يظهر في ناحية بعيدة من الطاولة. فانقضت عليه صارخة بانتصار:

ـ لابأس عليك آنسة آردين! لقد وجدته!

طارت دوروثي عبر الغرفة، ورمت نفسها بين ذراعي أليسا:

ـ آه يا حبيبتي.. لن أتمكن أبداً من شكرك!

ـ كانوا سيجدونه في مطلق الاحوال عند تنظيف الغرفة.

ـ أعلم، ولكن حتى ذلك الوقت تكون أمسيتي قد تدمرت.

وضعت الفتاة بأصابع مرتجفة اللآلىء الجذابة الرائعة المنظر حول

جيدها، وأدارت ظهرها لتتمكن أليسا من تثبيته لها.

ـ أعتقد أنني لم أثبت العقد جيداً حين تزينت به.

وراحت ترقص جذلى حتى وصلت الى طرف الطاولة الآخر، فتناولت ابريق عصير ثم ملأت كأسين منه.

ـ دعينا نشرب نخب استعادة العقد.

وارتشفت أليسا العصير.. إنه ألذ من ذاك الذي كان على المقصف الرئيسي... فضحكت دوروثي وكأنها قرأت أفكارها:

ـ إنه عصير خاص أُعِدّ لأخي.

فأخفضت أليسا نظرها. رون آردين لن يسمح أبداً بأن يشرب موظفيه من شرابه هو.. وربما كان له كذلك طعام مميز خاص... ولا شك في أن هذا هو سبب تناوله الطعام في غرفة خاصة.

بدت دوروثي مرة أخرى وكأنها تغوص في أفكار أليسا:

ـ لم يشأ رون أن تكون له غرفة خاصة للعشاء هذه السنة، لكنه عاد وقرر العكس.. قائلاً إنه يشعر بأن موظفيه يشعرون بالراحة وهو بعيد عنهم.

ـ أنا دهشة لأنه يشارك في هذه الحفلة أصلاً!

ـ يعتبر المشاركة فيها واجباً. يكره أن يراقبه الناس. قلت له مراراً إنه يجب أن يكون قد اعتاد على هذا الآن. لكنه يقول إنه لن يعتاد عليه أبداً.

فابتسمت أليسا فليس على دوروثي أن تتكلم عن أخيها على هذا النحو مع موظفة عاملة لديه لذا سارعت الى القول:

ـ فلنعد الى القاعة. إذ لا شك عندي في أن هناك راقصين خاب أملهم لابتعادك عن الحلبة.

فضحكت دوروثي بخجل:

ـ وأنت كذلك.. جاك هاريس.. ربما؟

فاحمر وجه أليسا، وحتى تخفي حرجها، استدارت الى الباب،

فهمت دوروثي قصدها وتبعتها.

ـ إن من الخير لنا أن نعود، وذلك حتى لا تفوتنا تراتيم الميلاد، وهذا أمر لن يسامحني رون عليه أبداً.

ما أن وصلتا الى الممر حتى فهمت أليسا ما تقصده دوروثي... فقد شاهدت جماعة من فتيان التراتيل في الكنيسة يرتدون ثياباً بيضاء ويحملون مصابيح في شموع طويلة مضاءة، يتقدمون ببطء الى مدخل القاعة... فقالت دوروثي:

ـ يا إلهي..! يجب أن أصل الى طاولتنا قبل وصولهم الى القاعة.

اندفعت تركض، فاضطر بعض الفتية الى الانتحاء جانباً افساحاً لها المجال في المرور. وصاحت لأليسا ملوحة:

ـ أراك فيما بعد.

ما إن أدارت دوروثي وجهها حتى اصطدمت بصبي، رفع يده ليحمي نفسه فوقعت الشمعة على دوروثي، وبدأت تنورتها تشتعل، فأطلقت صيحة ذعر أرعبت بعض الصبية الذين هربوا الى الامام. لكن أليسا صاحت بهم وأمرتهم بأن يقفوا حيث هم لئلا تقع الشمعات وتحترق ثيابهم كذلك.. لم يكن في الممر أحد، فالجميع في القاعة بانتظار دخول الجوقة. لكن ولدين ركضا الى المدخل صارخين طلباً للمساعدة... ليس أمامها وقت... ودون أن تفكر في سلامة نفسها، بدأت أليسا تضرب ألسنة اللهب المتصاعدة من الفستان، وسط صراخ دوروثي وعويلها.. وخوفاً من امتداد النار الى سائر الفستان قبل أن تستطيع ايقاف اللهيب.. قامت أليسا بالامر الممكن الوحيد. شقت بكل ما أوتيت من قوة، صدر الفستان ثم انتزعت التنورة المشتعلة، لكن ألسنة اللهب سرت في أطراف تنورتها هي، وقبل أن تدري ماذا جرى بدأت تحس بالحرارة تحرق بشرتها، فحاولت يائسة أن تخلع الفستان، لكنها لم تستطع الوصول الى

السحاب.

فصاحت بدوروثي:

ـ ساعديني!

لكن دوروثي وقفت مسمرة ذاهلة من الصدمة، وسارعت أليسا تركض نحو الحمام تضرب النيران المشتعلة في تنورتها ثم راحت تصرخ:

ـ ماء! ماء!

وصاحت بها أصوات من خلفها.

ـ هناك ماء في الحمام.

لاحظت أن عدداً من الناس اندفع بعيداً عن الباب لتهرب خارج القاعة. فوقفت مترنحة يكاد يغمى عليها ألماً أو رعباً.

ـ لا يمكن لهذا أن يحدث لي.. الامر سخيف.. سخيف جداً!

ثم، التف معطف سميك حولها، وارتمت على الارض، تصيح «آواه!» وقد احتواها الألم الشديد غير المعقول حتى أحست أنها ستغرق فيه...

ستغرق في بحر من اللهب.. ليس هناك سواه.

* * *

فراشة المحبة

٢ ـ قبل المساء

عبق الجو بأريج الزهور حين كانت أليسا مستلقية مغمضة العينين، فتذكرت جواً عطراً برائحة زهور الحقول، حيث أمضت مع والدها عطلة صيفية سعيدة في اليونان. كم كان الطقس حاراً. وكم كانت السماء صافية والشمس ساطعة، تُلقي حرارتها بقوة خشنة تحرق كل شيء حتى جسدها...

انتفضت وهي تشعر بوخزة ألم، ففتحت عينيها. لكنها شعرت بأنها ما تزال تحلم، فما من شيء حولها مألوف لها... أثاث غريب، وجدران بيضاء.. أين هي تلك الكتب والصور وذكرياتها الأخرى؟ ماذا حدث لورق الجدران الباهت وللستائر المخملية الرثة؟

ودون أن تشعر، فكرت بصوت مرتفع، دفع امرأة ترتدي ثياباً الى الوقوف قريباً منها:

ـ إذن، لقد استيقظت أخيراً! كيف تشعرين؟

قطبت أليسا جبينها وهي تسمع هذا السؤال فحاولت الجلوس، لكن أطرافها المثقلة بشكل غريب، رفضت اطاعتها، فتولاها الذعر، ثم راحت تدير رأسها من جانب الى آخر. بينما كانت تلتفت، لاحظت سلة كبيرة ضخمة من الورود الصفراء المديدة الساق، موضوعة على طاولة قرب النافذة. إنها ورود الميلاد... الميلاد؟...

في لمحة بصر تذكرت حفلة الموظفين. وشاهدت من جديد

صبيان الجوقة البيضاء ثيابهم.. وشموعهم المضيئة... ودوروثي آردين.. وفستان السهرة الجميل المشتعل. نظرت الى جسدها بسرعة، ولم تدهش حين رأت يديها وذراعيها موضوعة فوق الغطاء، ملتفة بالضمادات. فقالت بصوت مرتفع:

ـ أنا في المستشفى.

فابتسمت الممرضة:

ـ هذا صحيح... أنت في مستشفى «راهبات المحبة».

حاولت أليسا مجدداً أن تتحرك، لكن جسدها خذلها مرة أخرى. فصاحت بصوت حاد مرتفع وجل:

ـ أنا كسيحة! لا أستطيع تحريك يدايّ ورجلايّ.

ـ بالطبع لست كسيحة. أنت وهنة فقط، تعانين من الصدمة. هيا.. سأساعدك على الجلوس، وسأعطيك شراباً.

وضعت الممرضة يدها تحت رأس أليسا ورفعتها، ثم وضعت كوباً على شفتيها، فارتشفته أليسا، ثم ردّتها الممرضة الى وسادتها. أرهقتها هذه الحركة الخفيفة، وتاقت للنوم.. لكن ثمة ما يجب أن تعرفه:

ـ حروقي... هل تشوهت؟

فقالت الممرضة بثبات:

ـ لا.. قد تظهر بضع علامات لكنها ستزول بعد بضعة أشهر.

حاولت أليسا أن تتمتم شاكرة، لكنها لم تستطع إلا أن تغط في النوم. كان نوماً هادئاً عميقاً، وعندما استيقظت كان الغروب يسدل ستائره على غرفتها وكانت صديقتها إيريكا تجلس على كرسي الى جانب سريرها.

تبادلت الفتاتان النظرات ثم صاحتا، ثم مسحت إيريكا عينيها وأجبرت نفسها على الابتسام.

ـ عام سعيد أليسا!

ـ لا تكوني سخيفة.. لم أحتفل بالميلاد بعد.

ـ أنت لم تحتفلي به، لكن الجميع احتفل... فقد نمت طوال فترة الميلاد، ولم يبق حتى رأس السنة إلا يومان.

ـ أتقصدين أنني كنت فاقدة الرشد أسبوعاً؟

وأخذت تنظر الى الضمادات، فهزت إيريكا رأسها:

ـ حروقك سطحية، لكن صدمتك كانت شديدة. لا تقلقي، فقد أحضر السيد آردين أفضل اخصائي في البلاد للعناية بك.

حدقت أليسا في وجه إيريكا فإذا فيه ما طمأن قلبها:

ـ وماذا حدث لدوروثي آردين؟

ـ إنها بخير.. كانت في المستشفى كذلك، إنما بضعة أيام فقط. أنت من التقطت النار عنها، فانتزاع تنورتها انقذ حياتها. مع أن هذا لم يفدك.. فأنت مازلت قيد العلاج، لكن ما أن ينزعوا عنك الضمادات حتى تخرجي من المستشفى.

نظرت أليسا فيما حولها الى الغرفة الفاخرة التي تصلح أن تكون غرفة في فندق:

ـ لماذا لست في مستشفى عادية؟ من أين لي تكاليفها؟

ـ لكن السيد آردين يدفع التكاليف..

ـ لماذا؟ كيف يتدخل في ما لا يعنيه؟ أنا لا أريد أن أكون مدينة له بمعروف.

ـ بالله عليك يا فتاة! لقد أنقذت حياة أخته. ألا تفهمين هذا؟

ـ كان سيقوم أي انسان بما قمت به. لذا لا أريد أن أكافأ على ما فعلت.. كم سأمكث هنا؟ اخبريني الحقيقة إيريكا.

ـ ذكرت لك الحقيقة... ربما عشرة أيام أو اسبوعين، لكنك بعدها يجب أن تخلدي الى الراحة.

ـ أقلت إن حروقي غير خطرة؟

ـ هذا صحيح.. لكن الصدمة التي تلقيتها كانت شديدة على

أعصابك فاحتجت الى وقت إضافي حتى تبلي من المرض ولو كنت مكانك لاسترحت في المستشفى بعض الوقت.. فالمرحلة الخطرة مرت وما عليك إلا طلب الراحة والتمتع ببطولتك.

سرعان ما لاحظت أليسا سلال الزهور والورود والفاكهة المصفوفة حولها. فقالت بصوت أجش:

ـ لا يمكن أن يكون هذا كله لي! هل أنت واثقة أنها ليست لنجم سينمائي؟

ـ بالنسبة لشركة الصناعات المساهمة، أنت النجمة.

فاحمر وجه أليسا:

ـ لا تقولي إن هذا أيضاً من كرم السيد آردين.

ـ بعضها، نعم.

تنقلت إيريكا من سلة الى أخرى تقرأ البطاقات المرسلة إليها. وكما توقعت أليسا، كانت الورود وأكبر سلة فاكهة، من رون آردين. لكن كان هناك زهور من دوروثي، وفتيات المكتب، إضافة الى باقة من زنابق «بخور مريم» مرسلة من جاك هاريس. فسألتها إيريكا:

ـ من هو؟

ـ مصور التقيته في الحفلة.

ـ لقد كتب لك كلمات مهمة على بطاقته.. يريد أن يعرف إذا كنت قد قررت شيئاً بعد.. ماذا يعني، أم أن الامر خصوصي جداً؟

ـ ليس ما تظنينه. عرض عليّ أن أعمل عارضة للتصوير، ووعدته بالتفكير في عرضه.

فصاحت إيريكا:

ـ أهو جاك هاريس.. نفسه؟

ـ أجل.

ـ ولم تستغلي الفرصة؟ يا لحظك التعس، أنت دون شك مجنونة.. حقاً! إن معظم الفتيات قد يتمسكن بمثل هذه الفرصة

باسنانهن.. لن ترفضي. لن أسمح لك.

ـ لم أرفض بعد. لكنني متعبة جداً لأفكر الآن.

ـ آه... يا لغبائي! ها أنا أدفعك للتفكير في وظيفة أخرى، بينما أنت بأمس الحاجة الى الراحة شهرين تقريباً.

وقفت مرتدفة:

ـ آه تذكرت الآن. لقد وعدت الراهبة بألا أمكث عندك طويلاً.. نامي الآن. سأعود لزيارتك في الغد.

مرت الايام ببطء، كانت خلالها صحة أليسا قد تقدمت خير تقدم. وما هي إلا أيام حتى استردت عافيتها، فاستطاعت استقبال زائريها. وكانت أولاهم دوروثي آردين التي صاحت أثناء ولوجها الغرفة راكضة، يفوح منها عبيراً عطراً.

ـ أوه أليسا!

كانت تحمل آخر مجموعة قصصية، وعلبة عنب ونصف دزينة من البنفسج، وزجاجة عطر ثمينة، ألقتها على السرير، وقالت:

ـ أنا سعيدة جداً برؤيتك. لا أستطيع وصف العذاب الذي مررت به لأن ما أصابك كنت أنا مسببته.

فقاطعتها أليسا.

ـ لقد كان حادثاً.

وجمعت باقات البنفسج لتنشق عطرها.

ـ يا لرائحتها الزكية! إنها الورود التي أحب.

ـ سأرسل لك المزيد منها.

نظرت أليسا الى الوجه الجميل النشيط أمامها، فعرفت بسرعة أن دوروثي آردين، مثل أخيها، تؤمن بأن المال يشتري كل شيء. فقالت لها بلطف:

ـ اجلسي وحدثيني. هل أمضيت ميلاداً سعيداً؟

ـ ليس كثيراً.. فرون يلومني على حادثتك، وهذا ما أفسد

الامور.

ـ لكن لم يكن ما حدث غلطتك، فأنت لم تشعلي النار بثوبك عامدة!

ـ هذا ما قلته له. فاعطاني خطبة طويلة حول ارادة البشر فيما يحدث.. وحينما انتهى، أحسست بأنني من رتب ما جرى.

ـ لا يحق له لومك.

ثم أقفلت فمها. فلا يجوز أن تتحدث بهذا الشكل عن رجل تكبد تكاليف علاجها. فكان أن أردفت بدبلوماسية:

ـ فلننسَ أمر الحفلة والحادثة ولندّع أننا التقينا منذ برهة.

فردت الفتاة بصراحة اعتادت عليها أليسا:

ـ ما كنا لنتقابل في ظروف عادية، فرون يعاملني وكأنني من زجاج ثمين قد ينكسر عند أول لمسة. أتعلمين أنه لا يسمح لي بالخروج إلا مع من يرافقني؟

ـ لو كان لي شقيقة جميلة مثلك لرافقتك بنفسي.

ـ ماذا عنك؟ أنت أجمل مني وليس معك من يرافقك. صحيح أنني جذابة، لكنك أجمل مني بكثير، وحتى وأنت مشعثة الشعر كما الآن تبدين خلّابة.

فرفعت أليسا يدها المضمّدة على شعرها وسألت بلهفة:

ـ هل احترق؟

ـ بالطبع لا، لكن الممرضة جعلته ضفيرة، دعيني أسرّحه لك.

تناولت الفرشاة عن طاولة الزينة ثم راحت تحلّ ضفيرتها وشرعت بعدها بتمشيطه. فاسترخت أليسا للضربات الرقيقة على رأسها، وقالت الفتاة فجأة:

ـ إني أحسدك على استقلاليتك وعلى تمكنك من قيادة حياتك بنفسك.

ـ إذن أنت تفكرين كطفلة، فليس هناك سعادة في أن يكون المرء

وحيداً في الحياة.

ـ أنا آسفة.. عرفت أن والدك توفي، أنا لم أعرف أبي كثيراً، فالعمل كان كل حياته، كما الحال مع رون الآن. أما أمي فماتت وأنا في الخامسة، فربتني المربيات. مادياً، كان لي كل ما أرغب في الدنيا، إلا حب مَنْ أريد من الناس. ومازلت هكذا حتى اليوم.

تركت الفرشاة وجلست على حافة السرير، ثم أمسكت المشط وفرّقت شعر أليسا ومشطته حتى استرسل حراً على جانبي وجهها.

ـ الآن تبدين جميلة، وأفهم جيداً ما عناه جاك بقوله «خلابة».

ـ إنه يبالغ.

ـ ليس بالنسبة للنساء، فهو دائماً حريص على ما يقوله. هل ستعملين معه؟ أعتقد أنه سيكون أفضل من البقاء سجينة بين جدران المكتب، تساعدين في زيادة أرباح أخي.

ـ تشاركين نصف الارباح يا صغيرة. لا تنسي هذا!

التفتت الفتاتان لدى سماعهما هذه الملاحظة، فإذا بهما تريان جاك هاريس يدخل الغرفة، حاملاً وردة واحدة قدمها لأليسا وهو ينحني.

ـ وردة الى ذات الشعر الذهبي.

فابتسمت أليسا:

ـ لقد صفقتني.. أليس كذلك؟

ـ ألا يعجبك التصنيف؟

ـ ربما يكون سماوياً قليلاً.

ـ في المرة القادمة سأقدم لك «زهرة الحب».

فقالت دوروثي:

ـ آه.. هنا يجب أن انسحب، فأنا أرى أن وجودي بات عائقاً.

فسارعت أليسا لتقول وقد انزعجت من احمرار وجنتيها.

ـ لا تكوني سخيفة.

فضحكت دوروثي:

ـ كنت أمزح.. لكنني يجب أن أذهب الآن.

علق جاك بعد خروج دوروثي:

ـ هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها دوروثي لبقة. لقد أحست بأنني أود الانفراد بك. إياك أن تحرجك طريقتي في النظر... هكذا أفضل. أتمانعين في أن أدخن؟

بعد أن هزت رأسها أخرج علبة من جيبه أشعل سيكارة منها.. ثم قال:

ـ رون يعتقدك أشجع فتاة التقى بها.

فاحمر وجهها مجدداً:

ـ أتمنى لو تتوقفون عن جعلي بطلة.

ـ لكنك بطلة.. كان عملك في غاية الاهمية مهما كان من أنفلت.. إلا أن انقاذ دوروثي.. كان رون سيتحطم لو أصابها مكروه.

ـ صحيح؟

ـ وهل تشكين في هذا؟

ـ أرى.. أن دوروثي، تعتبره طاغية.

ـ إنها فاسدة مدللة. ترفض أي نوع من السلطة.. ورون في خوف دائم عليها. الفتيات اللواتي يملكن هذا الثراء يجلبن الكثير من المتاعب وهي لم تحسن اختيار الاصدقاء. لذا يعتقد رون أنها إذا تعرفت الى الشيطان، لأطرته ما دام راقصاً ماهراً يسليها.

ـ إنها فتاة بريئة، ذكية، لكن رجلاً مثله لن يفهم شخصاً دافىء القلب مثلها.

فرد عليها جاداً:

ـ يبدو أن لك رأياً محدداً بشأنه. أؤكد لك أنه بطريقته الخاصة

دافىء القلب ولطيف كأخته.

فقالت بصوت ضعيف:

ـ إنه لطيف بكل تأكيد معي.

يجب ألا تدع جاك هاريس يحس باستيائها من تصرفات رون أردين... فصمتت، عندما فسر جاك هاريس صمتها بالتعب فتحرك ليذهب، لكنها مدت يدها إليه:

ـ لا تذهب. ابقَ قليلاً وحدثني، إلا إذا كان لديك ما يشغلك!

ـ أنت عملي الآن آنسة وابتنغ.. عندما تقبلين عرضي، سأضاعف راتبك الحالي وأحولك الى أشهر وجه في أميركا، وأوروبا.

لم تشعر براحة عندما ضغط يده عليها، فقالت:

ـ دعني أفكر ملياً... لا أستطيع ترك عملي بسرعة. خاصة بعدما فعله معي السيد أردين.

ـ يا ذات الشعر الذهبي! أتظنين رون يأبه لما تفعلين.. إنه في خضم أعماله قد لا يعرف بأنك موجودة.

فسألته بسرعة:

ـ ألا يمكن أن تتحدث عن عرضك بعد بضعة أشهر؟

ـ بكل تأكيد، مع أنني أحاول دفعك واستعجالك، إلا أنني لا أريد أن أؤثر عليك!

أظهر جاك دهشته لأن الظهر مرّ بسرعة فصاح قائلاً إنه على موعد في الخامسة، وأسرع بالخروج فاصطدم بإيريكا التي كانت تدخل الغرفة، فارتمت إيريكا على حافة الباب وقد صدر عنها صوتاً متألماً..

قال جاك وهو يمسك بكتفيها ليسندها:

ـ أنا آسف.. لعلي لم أؤلمك؟

ـ سأعيش.. لكن قل لي أين الحريق؟

ـ سيكون الحريق على رأسي إذا لم أبلغ المحكمة بعد عشر دقائق.. فثمة اجتماع برئاسة الحاكم يجب أن أصوره.

واختفى، ففكت إيريكا معطفها وجلست على الكرسي الذي اخلاه لتوه. وقالت:

ـ أظنه جاك هاريس؟

ـ أجل. إنه شخص لطيف. ستعجبين به إذا تعرفت إليه.

ـ سأتعرف إليه.. أيعني هذا أنك ستشتغلين معه؟

ـ لست واثقة.. إنه يعرض عليّ فرصة نادرة.. لكنني لا أتصور نفسي «عارضة» للتصوير.

ـ لا تقلقي نفسك بالامر الآن.. إن أول شيء عليك فعله هو الخروج من هذا المكان والاسترخاء في اجازة.

ـ المكان الوحيد الذي قد أرغب في أن أكون فيه هو المنزل.. والى هناك سأذهب حالما تُنزع هذه الضمادات اللعينة.

لكن أليسا لم تغادر المستشفى إلا بعد مرور اسبوعين، خرجت وحدها رافضة عرض جاك ودوروثي بإيصالها، كانت تعلم أن إيريكا ستستقبلها في المنزل، لكنها الآن تتوق الى السير وحيدة في شوارع نيويورك وصولاً الى حيث تسكن في شارع ريفرسايد السكني الجميل.

عند باب المستشفى ودعت الرئيسة وطلبت منها أن يحضر البواب لها سيارة أجرة فأجابت الرئيسة مبتسمة:

ـ لا حاجة الى سيارة أجرة عزيزتي، فالسيد آردين أرسل لك سيارته الخاصة. كانت سكرتيرته تتصل كل يوم لتعرف موعد مغادرتك.

نظرت أليسا الى حيث أشارت الرئيسة فوجدت سيارة كاديلاك بيضاء فاخرة تقف عند المدخل، فتصاعد غضبها، لكنها أخفت ما تشعر به أمام الرئيسة، وراقبت حقائبها توضع في صندوق السيارة، ثم صعدت لتجلس على المقعد الجلدي الفاخر.

استقبلتها الشقة المعتمة كالعادة لكن ترحيبات إيريكا المضاء وجهها سروراً أضفت نوراً على المنزل. ولم تلبث أن شرعت بأكل قطعة خبز محمصة مع الزبدة وكأنها طفلة عادت لتوها من المدرسة.

أحست بالتعب أكثر مما توقعت، وكانت نائمة تقريباً في مقعدها الدافىء عندما انتفضت فجأة على رنين جرس الباب. وضعت إيريكا شغل الصوف من يدها، ثم هبت واقفة تقصد الباب الذي تناهت منه أصواتاً تبعها وقع أقدام، عادت بعدها إيريكا لتضيء النور.

رفّت عينا أليسا أمام انبهارهما بالضوء المباغت، ورفعت رأسها، لكن سرعان ما خفق قلبها بجنون بعد أن تعرفت الى القادم الذي تبع إيريكا.. حاولت النهوض، لكن رون آردين دخل بسرعة وقال:

ـ أرجوك.. لا تقفي، واعذريني على زيارتي دون سابق انذار. لقد عدت من السفر بعد ظهر اليوم فقط، وهذه هي الفرصة الأولى التي تتاح لي لعيادتك.. عرفت أنك ستخرجين اليوم الى المنزل، فصممت على أن أكون أول الزائرين.

إذن هذا هو سبب غيابه عن عيادتها في المستشفى، ومع ذلك لم تستطع اجبار نفسها على الاحساس باللطف معه. ولم تستطع أيضاً التخلص من الحرج الذي يسببه وجوده، وسألته:

ـ هل ترغب في بعض الشراب سيد آردين؟

ـ أرجوك، لا تزعجي نفسك.

ـ ربما شاي أو قهوة؟

ـ لا شيء شكراً.

نظرت إيريكا الى أليسا باستغراب، ثم اختفت باتجاه المطبخ..

استرخى رون آردين في مقعد. هذا إذا كان بالامكان تسمية الجلوس مستقيماً رافعاً رأسه الى الاعلى عملية استرخاء.

ـ بكل تأكيد تبدين أفضل حالاً عما رأيتك في آخر مرة آنسة وايتنغ.

فنظرت إليه متسائلة:

ـ رأيتك في المستشفى.. كنت غائبة عن الوعي وغارقة في الضمادات.

ـ أنا بخير تماماً الآن، وأرجو أن أكون جاهزة للعمل بعد اسبوع.

نظر إليها بثبات فتصاعد حرجها حتى لم يعد أمامها إلا النظر الى يديها اللتين برئتا تماماً إلا من بضعة آثار باهتة أكد لها الاخصائي أنها ستختفي خلال أشهر.

قالت مرددة:

ـ لا أستطيع شكرك على لطفك.. لقد كان.. لطفاً غامراً.. خاصة وأنا أذكر فظاظتي في الحفلة.

ـ لست أدري ما تقصدين.

ووقف ليتقدم الى رفوف الكتب.

ـ لديك مكتبة قيمة، آنسة وايتنغ.

ـ إنها لوالدي.

فحدق في بعض اسماء الكتب، والتقط كتاباً ضخماً، هو آخر كتاب لأبيها عن الحضارة الاغريقية.. وقال وهو يقلب صفحاته.

ـ شقيقتي أصبحت مولعة بك.

انتفضت أليسا لأنه غير اتجاه الحديث فجأة، فأجابت:

ـ أنا سعيدة لهذا، إنها فتاة طيبة جميلة.

حلّت على وجهه نظرة جذلى:

ـ أنت الصديقة الأولى التي لا أعترض عليها.

كان في الملاحظة غرور جعلها لا تستطيع الرد.

ـ حسبك لا تحب أن تصادق أختك موظفة تعمل عندك.

فالتفت إليها وعيناه تغرقان في عينيها.

ـ أن رأيك بي لغريب آنسة وايتنغ.. ربما في طباعي أشياء كثيرة غير مرغوبة، لكنني لا أعتقد أن التكبر إحداها.

انحنى قليلاً ليمد يده نحو النار ناشداً دفئها وأردف:

ـ حتى تكون بيننا علاقة في المستقبل، عليك نسيان ما حدث والبدء من جديد على أنك صديقة دوروثي، وهذا ما يعجبني.

ما قاله رون فيه ذكاء ولطف غير متوقع.. لكن أبت مرة أخرى روح المرح لديها أن تطغى على تعقلها، فالطريقة التي اعتمدها في قوله تليق باجتماع إداري أكثر مما تليق بصداقة تمنى لتوه أن تكون بينهما. لكنها بقيت صامتة، فأكمل:

ـ اتصل الاخصائي بي بشأن حالتك آنسة وايتنغ، وقد نصحني بأن تستريحي مدة شهر.

ـ لا أرغب في السفر.. بقيت بين الغرباء فترة طويلة، لذا أفضّل البقاء في المنزل.

ـ أفهم هذا، وأتمنى أن تعتبري «برايت هاوس» منزلاً لك أثناء وجودك فيه.

ـ برايت هاوس؟

ـ أجل.. إنه اسم منزلي في الريف، سيصحبك السائق إليه في الغد.

الدفء الذي شعرت به تجاهه تلاشى أمام تصرفه المتسلط هذا، فردت عليه بحدة:

ـ لا أريد أن أقضي فترة نقاهتي في منزلك.. فأنا سعيدة تماماً في منزلي هنا.

أعلمته نبرة صوتها الجافة بأنه أخطأ. فنظر إليها وقد ضاقت عيناه ليفكر قليلاً قبل أن يسأل:

ـ لقد جرحت مشاعرك، أليس كذلك آنسة وايتنغ؟

فردت عليه بصدق:

ـ لم تجرح مشاعري، لكنك أثرت أعصابي بديكتاتوريتك.

ضحك ضحكة خافتة، تدل على احساس انساني.. لكن

الضحكة نفسها لم تدهشها بمقدار ما أدهشتها ملامح وجهه التي تغيرت حتى بدا أصغر عمراً وأرق مظهراً وأكثر دفئاً وهذا كله زاده جاذبية. لا يستطيع أحد أن ينكر بأن رون أردين رجل يتحكم بنفسه، كما بالاخرين، ومع ذلك فقد لاحظت نوعاً من الدفاع في تعبيره، وهذه حساسية لم تتوقعها منه.

أردفت قائلة:

ـ أنا لا أقصد رفضي الذهاب الى منزلك بل أرفض أن أكون مدينة لك أكثر مما أنا عليه الآن.. أعرف أنني انقذت دوروثي من حادث مزعج خطير، لكن صدقني، أكثر الناس الذين يواجهون موقفاً كهذا، يقومون بما قمت به أنا.

ـ وربما.. لكنني لا أعرض عادة ضيافتي على أكثر الناس.. أرى أن عليّ شرح بضعة أمور لك آنسة وايتنغ... مع أنني أجد صعوبة في تبرير ما أريد.. لكن...

فقاطعته بخشونة:

ـ لا أعتقدك مضطراً الى الشرح.. فأنت قانون بحد ذاتك!

ـ ليس بالنسبة لعائلتي! ودوروثي هي عائلتي الوحيدة آنسة وايتنغ. فكما تعلمين إنه أنا ودوروثي من أب واحد أمها ماتت عندما كانت طفلة، ومنذ ذلك الوقت أصبحت مسؤولاً عنها. لكنني لم أستطع دائماً توفير الوقت اللازم لها. لي عمة، كانت ترعاها دائماً.. لكن دوروثي مؤخراً أصبحت صعبة المراس.

ـ بسبب شاب؟

ـ أرى أنها أخبرتك.

ـ لم تفعل.. لكنني توقعت هذا.. فهي جميلة جداً.

ـ وثرية، والشاب المذكور فقير.

وصمت لحظات، فهمت خلالها ما كان يود أن يقول، ثم تابع متنهداً:

ـ يجب أن أخبرك بالقصة كاملة. إذ يبدو لي أنك من النوع الذي لا يقوم بشيء دون أن يعرف السبب.. دوروثي، كما لاحظتِ، ساذجة سريعة التأثر. منذ بضعة أشهر التقت بشاب يدعى جايمس وهو فنان عاطل عن العمل، طموحاته كبيرة وموهبته ضئيلة، يعتبر دوروثي أمله الوحيد. وهي تريد الزواج منه، ومن الطبيعي أن أرفض.

ـ أعرفت السبب؟

ـ لم أترك لها مجالاً للشك في عذري. في الواقع آنسة وايتنغ، حدث بيننا شجار قوي، لكنني كنت استند الى شروط وصية والدي، التي تنص على منعها من الزواج قبل الحادية والعشرين. كل ما أرجوه الآن أن تبلغ هذه المرحلة وهي في حالة من النضج والوعي. لكن في الشهرين الماضيين، تملكني احساس بأنها تنوي الهرب معه، وتنتظر سفري الى مكان بعيد لإنهاء بعض الاعمال، حتى تقوم بذلك في غيابي.. والسبب الوحيد الذي منعها حتى الآن هو خوف جايمس من أن أحرمها ميراثها.

ـ وهل ستفعل؟

تردد قليلاً:

ـ سأفعل المستحيل لأتأكد من عدم قدرته على لمس سنت واحد من مالها. لكنني أجد صعوبة في أن أسمح لأختي بالعيش في عوز... والعوز هو ما ينتظرها إن اعتمدت على ذلك النذل في إعالتها، لكنني مصمم على منع دوروثي من تدمير حياتها.

ـ لماذا لا تحجر عليها قانونياً؟

ـ لست أرغب في أن أذيع للعالم أن رجلاً يسيطر على الملايين، لا يستطيع السيطرة على أخته.

ـ ثمة فرق شاسع بين سيطرتك على المال، وسيطرتك على من تحبه.

فراشة المحبة

ـ تأخذ الترتيبات القانونية وقتاً. والوقت هو ما ينقصني الآن. لقد أعطيت التعليمات للمحامين بالبدء بالتحرك... لكن لسوء الحظ يجب أن أسافر الى اليابان صباح الغد.

ـ وأنت تعتقد أنها ستهرب أثناء سفرك؟

ـ صحيح.. لقد تحدثت إليها منذ قليل، ووعدتني بأنها ستمتنع عن رؤيته في غيابي. وأظنها تأمل، لو أطاعتني هذه المرة، بأن أغيّر رأيي عندما أعود.

ـ شخص مثل دوروثي قد يصدق هذا. لكنني حتى الآن لا أرى علاقة بين ذهابي الى منزلك وبين هذه المشكلة.

ـ ظننت الامر واضحاً. دوروثي مولعة بك. فخلال الساعات القليلة التي أمضيتها معها كانت تتحدث باستمرار عنك. أليسا قالت.. أليسا فعلت...

عندما ذكر اسمها مجرداً احمر وجهها فهذا يخلق بعض الود بينهما. وتابع:

ـ وبسبب تأثيرك هذا، أتمنى أن توافقي على القيام بما أطلبه منك. إن مكوثك فترة النقاهة في «برايت هاوس» سيغطي فترة غيابي كلها، وأنا متأكد من أن دوروثي لن تقدر على المحافظة على وعدها بعدم رؤية جايمس إن بقيت وحيدة. لكن إن كنت معها.. تراقبينها...

فقاطعته أليسا بحدة:

ـ لن أكون عيناً لك أبداً!

ـ لكنك ستذهبين؟

ترددت قليلاً، ثم قالت ببطء:

ـ أجل.. لقد جعلت الرفض صعباً عليّ.

ـ شكراً لك.

أسرع في الوقوف ليتجه نحو الباب. فأحست بشيء ما يقول لها

أنه حقق ما يصبو لذا لم يعد يريد البقاء.. ألا يفعل شيئاً أبداً دون سبب خفي؟ وسبقته الى الردهة، فشاهدت بدهشة علبة كبيرة هي زجاجة شراب كرز كبيرة، سارع رون آردين ليقول لها من خلفها:

ـ إنها هدية ترحيب بعودتك الى منزلك.

فاستدارت تنظر إليه ووجهها يفيض سعادة، فأردف مبتسماً:

ـ ليتنا نلتقي بعد عودتي لنشرب نخب استعادتك صحتك كاملة.

مررت اصبعها بلهفة على رباط الزجاجة الذهبي وردت عليه:

ـ لم أشرب أي نخب منذ.. منذ أن نشر أبي آخر أعماله.

ـ لكنني ظننت أن فتاة.. لها جمالك هذا هي محط أنظار معجبين كثيرين يرغبون في تقديم ما تريده.

قردت بسخرية:

ـ بكل تأكيد، لكنني أنا مَنْ لا أرغب في تقديم ما يرغبون!

فضحك ورفع يده على قبضة الباب.. فسارعت الى وضع يدها على ذراعه:

ـ لا تقلق بشأن دوروثي سيد آردين.. سأبذل جهدي للاعتناء بها أثناء غيابك.

ـ أنا واثق من أنك حقاً ستعتنين بها.

نظر الى اليد الموضوعة على كم سترته، فسحبتها محرجة، لكنه أمسكها فجأة، وانحنى قليلاً ينظر الى آثار الحروق.. فقالت بسرعة:

ـ قال الطبيب إنها ستختفي قريباً.

ـ أنا واثق من هذا.

ودون أن تتوقع، رفع يدها ووضع شفتيه عليها يلثمها، وتمتم ملقياً تحية المساء، وتركها واقفة ذاهلة.

* * *

فراشة المحبة

٣ ـ في صف العدو

حتى دون أن تكون هناك مشكلة دوروثي، ودون أن تقدم له ولاءها فإن فكرة أن تكون ضيفة في منزل رون أردين جعل الخوف يجتاح نفس أليسا.

لكنها وعدته، وها هي رغم مخاوفها لا تستطيع كبح توقها الى زيارة منزله.. فلقد سمعت الكثير عن سحر منزله الريفي «برايت» وحجم حدائقه، وروعة لوحاته.. مع الوقت تأرجح مزاج أليسا بين الاثارة والخوف. وعندما جلست أخيراً في مقعد الكاديلاك الوثير، وجدت نفسها تنظر الى اقامتها هناك نظرة حتمية غريبة.

مرت السيارة بممر على جانبيه صف من الاشجار المستقيمة، بدت وكأنها لن تنتهي.. فتعاظم في نفس أليسا احساس بأنها انتقلت الى عالم آخر. وكان هذا الاحساس يزداد كلما تقدمت بهما السيارة ثم لما انعطفت الى فسحة واسعة أمام المنزل تماماً. خرجت منها صيحة فرح... لقد توقعت أن ترى شيئاً خلاباً لكنها لم تتوقع رؤية هذا المنظر الرائع الساحر الذي جعل المنزل يبدو كقصر في اسطورة. فللمنزل ثلاثة أجنحة وواجهة تعلو قناطر تبرز بشكل واضح. إنه أفضل مثال لهندسة القرن الثامن عشر، كان له أعمدة من الطراز الاغريقي الرائع، وأبواباً زجاجية مرتفعة تطل على شرفة الحديقة. والى اليسار، كانت الاسطبلات مخبأة تقريباً خلف حديقة ورود.. وهي على ما يبدو قد تحول معظمها الى مراب، وبركة سباحة.

همست لنفسها بخوف مفاجىء: إنه ليس منزلاً.. بل قصراً...

لكن لم يكن هناك وقت للخوف، فالباب الامامي كان مفتوحاً، تقف عنده امرأة كهلة، أشعث شعرها،عيناها زرقاوان، تضع نظارة قديمة الطراز.

ـ أنا روزيلاند أردين، أهلاً بك في «برايت هاوس».. أنا واثقة من أنك ترغبين في الذهاب الى غرفتك لترتيب نفسك. سيكون الشاي بانتظارك فور نزولك.

أشارت الى أحد الخدم ليحمل حقيبة أليسا ثم سارت المرأة عبر الردهة المرمرية الى درج عريض منحني.

ـ لقد وضعتك في الجناح الغربي قرب غرفة دوروثي، التي تعتقد أنك ستفضلينها على غرفة في جناح الضيوف.

دخلتا الغرفة التي توازي مساحتها شقتها كلها. حيطانها مكسوة بورق جدران وردية النقوش تتناسب مع السجادة الصينية الاثرية الخضراء الشاحبة التي تكسو أرضها، بينما كان الاثاث الفرنسي الطراز الابيض المذهب يستحق أن يوضع في متحف، وأشارت روزيلاند أردين الى حبل جرس معلق فوق السرير:

ـ عندما تجهزين اقرعي الجرس، وعندها ستأتيك خادمة لتدلك على غرفة الموسيقى.. غرفة الملابس هناك، قرب هذا الحمام، وغرفة دوروثي عبر الممر.

ـ أهي هنا؟

ـ ستعود حوالي السادسة مساء. أصيبت بألم في أسنانها فسارعت الى الطبيب. استريحي الآن يا عزيزتي، ثم انزلي لتناول الشاي.

بعد أن اغتسلت ورتبت نفسها سحبت حبل الجرس، منتظرة.. لكنها أحست فجأة، أمام كل هذه الفخامة بالحنين الى شقتها.. وسرعان ما دخلت عليها خادمة موردة الوجنتين قادتها الى غرفة الموسيقى. حيث كانت صينية الشاي الفضية موضوعة أمام مدفأة

النار. بينما كانت تسترخي في دفء الغرفة، خف خوفها مما يحيط بها... فما هم إن بدت ملابسها غير لائقة بهذا المكان؟ فالجميع يعرف من هي، ولا لزوم لها للادعاء الكاذب أمام عائلة رون آردين!

جلبت مقعدها نحو النار أكثر، واستسلمت للراحة، إنها غرفة واسعة تكفي لراحة مئة شخص على الاقل! بينما كانت تبتسم تراجعت في مقعدها لتسند رأسها، ثم أغمضت عينيها، وتركت أفكارها تسرح.

ـ قليل من السُمنة وتصبحين صورة عن ملاك.

انتفضت مذعورة، ففتحت عينيها ونظرت الى مصدر الصوت المرح الذي سمعته، ثم أحست بالنور يشع بعد أن أضيء فبان لها شاب أسود العينين يبدو في ملابسه لائقاً بمقهى شعبي لا بغرفة الموسيقى هذه.

ـ أنت صامتة جداً.

ـ فاجأتني ملاحظتك.. هل أعتبرها اطراء؟

ـ بكل تأكيد. مع اني لا أحب النساء السمينات!

كان في نظرته إليها تقييم ما، فاحمر وجهها وغيرت الموضوع:

ـ حسبت أنني الضيفة الوحيدة هنا.

ـ صحيح.. فأنا لست ضيفاً.. أنا أحد الجيران. وأنت كما أعتقد، أليسا وايتنغ. الفتاة التي أنقذت حياة دوروثي.

ـ يا إلهي! هل سينعتني الناس دائماً بالبطلة.

ـ ليس دائماً. لكن لبعض الوقت! هل لديك فنجان فارغ؟

هزت رأسها وصبت له فنجان شاي. فامسكه واحتساه مستمتعاً، ثم تناول ما تبقى من خبز محمص وبسكويت، وكأنه لم يتناول الطعام طوال اليوم...

عندما لاحظها تراقبه ضحك قائلاً:

ـ أحياناً أظن أنني أقصد هذا البيت طلباً للطعام.. فثمة شيء جيد

في طبع رون، وهو عدم قبوله إلا الافضل...

جلس في مقعده مستقيماً ومدد قدميه، ثم تابع:

ـ أنت ابنة البروفسور وايتنغ، أليس كذلك؟ قرأت كتبه كلها، وحضرت بعض محاضراته.. إنه يعرف عن الحضارة الافريقية أكثر من أي شخص آخر.

سرعان ما أحست أليسا بالدفء نحوه:

ـ وهل تهتم بها؟

ـ كنت فيما مضى أهتم... من العجيب كيف تعطي نظرة عميقة الى العلاقات الانسانية فائدة كبيرة فلو عدت الى هذه الحضارة لوجدت المشاكل والحلول جميعها. في الواقع كتبت مرة لوالدك بهذا الشأن فأرسل لي رداً مثيراً جداً للاهتمام.

هذه المرة الاولى منذ وفاة والدها التي تسمع فيها أليسا من يتحدث عنه. فكان أن تناقشا نصف ساعة بشأن آخر كتاب ألفه. ومع أنها لم توافق على الكثير مما قاله، إلا أنها شعرت به رفيقاً ممتازاً. وكانت تضحك على ملاحظة قالها عندما دخلت دوروثي.

ـ أليسا حبيبتي، ما أروع رؤيتك! آسفة لأنني لم أكن في المنزل لاستقبالك.

ـ لا تقلقي.. كان جاركم يسليني.

ـ جارنا؟.. أنت..! ماذا تفعل هنا؟

ـ لقد استأجرت منزلاً في القرية.

ـ لكنني وعدت رون بألا أراك مدة شهر، وها قد أجبرتني على التراجع عن وعدي.

ـ لم تتراجعي عن وعدك حبيبتي... قلت إنك لن تريني. لكنني لم أعد بعدم رؤيتك. قد تطردينني من منزلك، إلا أنك لن تستطيعي الامتناع عن رؤيتي.

ـ أوه يا حبيبي.. أنت تشوش تفكيري بالكلمات.

أحست أليسا بالصدمة وهي تنظر من دوروثي الى الشاب الذي يبدو أنه تعمد عدم ذكر اسمه لها، فتصاعد غضبها من خداعه، وزاد توترها لأنه اتخذ اسم أبيها وسيلة للتقرب منها. فسارعت تقول بصوت بارد:

ـ قدمي لي صديقك دوروثي!

اصفرّ وجه دوروثي رعباً، وتحدياً في الوقت نفسه:

ـ إنه فيلد.. جايمس فيلد.

إنه الرجل الذي يعتبره رون آردين نذلاً استغلالياً. لكنها صممت على ألا تدع دوروثي تعرف أن أخاها أخبرها عنه، فعندما أتت الى هنا كانت تأمل أن تكون الطعم الذي يجذب أفكار دوروثي عنه تماماً... لكن ما من أحد كان يحلم بأن الشاب سيقدم نفسه على عتبة الباب.

ـ اعذراني، سآوي الى غرفتي طلباً للراحة، لا تزعجي نفسك دوروثي بالتحاق بي، سأحاول أن أنام قليلاً.

ـ حسناً سأراك فيما بعد.

لكنها لم تشاهدها حتى وقت العشاء، وذلك حين التقتا في غرفة الطعام. ولأن أليسا كانت قلقة على ما تطور من اوضاع، خاصة بالنسبة الى قصة حب دوروثي، لم تستطع التمتع بالطعام، ولكن من حسن الحظ أن روزيلاند اردين عزّت فقدان شهيتها الى التعب. وقالت:

ـ بعد بضعة أيام من الراحة في هذا المكان ستتحسن صحتك كثيراً.

أحست أليسا بالراحة لأن العشاء انتهى، فاتخذت التعب سبباً للصعود الى غرفتها، لكن حتى وهي مستلقية على الفراش لم تستطع نسيان جايمس فيلد. فأخذت تتقلب في فراشها قلقة.

نعم، هي لم تتحدث إليه سوى ما يقل عن ساعة إلا إنها بدأت

تعارض رأي رون آردين بشأن ذاك الشاب... رفعت الوسائد الى أعلى وأسندت نفسها.. يجب أن تحاول تحليل الوضع بوضوح، لترى من وجهتي النظر ولتقرر وجهة نظرها الخاصة.

لا تلام دوروثي على استئجار جايمس منزلاً في القرية.. رون سيقول إن هذا عمل اذلال. لكن هل رفض جايمس الاقتراق عن حبيبته يجعله شخصاً رديئاً؟ الآن دوروثي وريثة ثروة طائلة، يعني هذا أن ما من رجل قد يحبها حباً حقيقياً؟

تنهدت ثم راحت تفكر في وسيلة تستطيع من خلالها جعل رون آردين ينظر الى الامور من وجهة أخرى! لكن دعوتها للبقاء هنا لا تعني أنه يطلب رأيها. لقد طلب منها عملاً محدداً: وهو أن تبقى دوروثي مشغولة لئلا تهرب. ووصول جايمس الى المسرح لن يغير هذا الواقع الذي تزايدت صعوبته. عندما تمنت من كل قلبها لو رفضت المجيء الى هذا المنزل. قد تكون دوروثي عمياء البصيرة بحيث عجزت عن معرفة مدى جمالها. وهنا لب المشكلة، فهي دون شك تؤمن أن رجلاً لن يحبها لنفسها. والملامة تقع على رون اردين، لأنه يحذرها دائماً من صيادي الثروات ويراقبها باستمرار، فسلب بذلك أخته ثقتها بنفسها.

ثمة طرق عديدة للنظر الى هذا الوضع. جعل التفكير رأسها يؤلمها خاصة وهي لم تبرأ من المرض تماماً لتقوى على الصبر على المشاكل العاطفية، فهي مازلت بحاجة للراحة والهدوء.. أطفأت أنوار الغرفة.. وهي تفكر في أن الحل الوحيد أمامها هو البقاء والتمني بأن يكون وجودها حائلاً من أن يزداد هذا الوضع الشاذ سوءاً.

عندما استيقظت، كان نور الشمس يسطع عبر النوافذ. بدت للحظات قليلة مشوشة الذهن... لكن المشاكل التي فكرت فيها ليلاً بانت أخف وطأة في ضوء النهار.. فكان أن دفعت تلك الافكار

جانباً طلباً للتمتع بما حولها من فخامة. فتناولت قطوفها في السرير.. ثم وضعت عليها منديلاً معداً للاستحمام.. ودخلت غرفة الملابس فتأملت بضعة فساتين لها تتدلى يتيمة في الخزانة الرحبة الفارغة.

وجدت روزيلاند آردين تجلس أمام النار وعند قدميها كتيب دعايات عن البذور. نظرت الى أليسا من فوق نظارتها:

ـ صباح الخير.. ظننتك ستنامين حتى الغداء.

ـ لست مقعدة.. كنت آمل أن أتمشى قليلاً مع دوروثي.

ـ لقد خرجت لتركب الخيل، فلدى ابن أخي اسطبل رائع.. هل تجيدين امتطاء الخيل.

ـ لا.

ـ وهل تهتمين بالحدائق؟

ـ أخشى أن معلوماتي في هذا الصدد تقتصر على أوعية النوافذ.

ـ يا للأسف. فأنا مؤمنة بأن العمل في الحدائق أفضل شيء في الدنيا. كنت أمازح أخي دائماً قائلة له إن الشتلات أولادي. لكن الطقس بارد الآن لأريك الحديقة، فما رأيك برؤية المنزل؟

ـ سأحب هذا جداً آنسة آردين.

ـ لا يجب أن تنادني بالآنسة، فأنا هنا بالنسبة للجميع «العمة»، وإذا ناديتني بطريقة أخرى قد لا أرد عليك!

ضحكت أليسا وتبعتها الى حيث أمضت بضع ساعات جذلى تتجول بين نفائس المنزل.. وما إن بلغتا باب ممر طويل تعرض على جدرانه اللوحات، حتى ترنحت ومدت يدها لتستند الى مؤخرة مقعد. سرعان ما نظرت إليها العمة بقلق:

ـ لقد اتعبتك. يا لسخافتي! ستترك اللوحات الى يوم آخر.

ـ سأكون بخير بعد دقيقة.

ـ لا يا عزيزتي، فلدى ابن أخي لوحة تعد من أروع اللوحات في

العالم، لذا يجب أن تكوني نشيطة عندما تريننا.

أحست بأن كلامها منطقي، لذا سمحت لها بأن تعيدها الى غرفة الموسيقى التي غرقت في أحد مقاعدها تحتسي كوب ليموناضة.

ارتشفت أليسا جرعة من شرابها، ثم راحت تراقب انعكاس النار على سطح الكوب... الآن فقط فهمت سبب اقتناء هذه الدرر كلها. فثراء رون آردين، منعه من التصديق بأن الناس قد يحبونه لشخصه، لذا راح يغدق مشاعره على ما اقتناه من أشياء حميمة. وسألت:

ـ ماذا حدث لمالكي «برايت هاوس» الاصليين؟

ـ أي مالكين؟

ـ العائلة التي كانت تسكن البيت قبل أن يشتريه السيد آردين.

ـ نحن كنا تلك العائلة.

وارتفع لون الحرج الى وجه أليسا:

ـ آسفة.. لم أكن أدري هذا.

لكن العمة، وقد اسعدها أن تجد فرصة لنبش تاريخ العائلة، لم تمانع اطلاقاً في الاسترسال:

ـ لقد عاشت عائلتنا هنا منذ القرن السابع عشر.. بين اللوحات ستجدين لوحة تمثل أول رون آردين في العائلة، يشبه ابن أخي كثيراً.

ـ لكن أليس غريباً أن تكون هناك عائلة عريقة كهذه دون لقب.

رد صوت عن الباب:

ـ اللوم يقع على جدي عشر مرات.

ودخلت دوروثي ترقص الى الغرفة، مرددة:

ـ تنازل عن لقب «لورد» ناله جده من ملك انكلترا قبل هجرته الى هنا، ومنذ ذلك الوقت وضعت صورته في زاوية معتمة من معرض اللوحات.

رمت دوروثي قفازها والسوط من يدها ثم أسرعت تسكب شراباً لها. كانت عيناها تبرقان بحيث بدت مرحة أكثر بكثير ممن تكون

عادة إثر امتطائها الخيل.. أتكون قد قابلت جايمس؟ وقالت أليسا للفتاة:

ـ في هذا الزي، تبدين وكأنك خارجة من إحدى لوحات أفراد عائلتك.

فالتفتت دوروثي إليها بحدة جعلت الشراب ينسكب فوق السجادة، فمسحته بقدمها دون اكتراث وقالت:

ـ أراهن إنه يرغب في أن يضعني فيها، مضيفاً طوقاً ضيقاً حول عنقي ليقيني سجينة!

فردت العمة بحدة:

ـ دوروثي! لا تتحدثي عن أخيك على هذا النحو. أنت أكثر الفتيات نكراناً للجميل.

حدقت ابنة أخيها فيها، ثم جرعت ما تبقى من شرابها ووضعت الكوب من يدها بحدة، ثم خرجت.

سرعان ما أحست أليسا بأنها تفهم مخاوف رون آردين تجاه أخته. إنها دون شك بحاجة الى من يحكم الطوق حولها، وليست متأكدة من أن جايمس، رغم سحره ولا مبالاته، هو الرجل الامثل القادر على الامساك بعنانها.

لم تعد دوروثي للظهور ذلك الصباح حتى الغداء، الذي تناولته في غرفة الطعام المعدة للفطور وهي غرفة تقع قرب قاعة الزهور الزجاجية الخاصة بالنبات. بدت بعد عودتها وكأنها سيطرت على طبعها، وعند نهاية الوجبة عرضت على أليسا أن تصطحبها في جولة بالسيارة لتريها الريف. وقالت أليسا:

ـ سأحب هذا جداً.

وضحكت دوروثي:

ـ قد تغيرين رأيك عندما ترين طريقة قيادتي للسيارة.

لكن أليسا دهشت عندما وجدت أن دوروثي سائقة ماهرة، فكان

أن استرخت في مقعدها تتمتع بالمناظر. حتى في الشتاء كان الريف جميلاً، بحيث يعد بجمال أكبر آت.

قالت دوروثي معلقة:

ـ قام رون بمعظم الاصلاحات في المنطقة.. وقد راح الناس جميعهم على مدى كيلومترات يعاملونه كملك.

تابعت السيارة طريقها، ثم انعطفت الى حزام من الاشجار الواقعة على محاذاة بحيرة طبيعية بدا على أحد جوانبها منزل صغير أوقفت دوروثي السيارة أمام حديقته الخالية من العشب.. وسرعان ما عرفت أليسا أنه منزل جايمس، فسألتها محاولة السيطرة على توترها:

ـ لماذا لم تقولي إنك قادمة الى هذا المنزل؟

ـ لأنك كنت سترفضين، فأنت مصممة على المحافظة على الحياد وأنا أرغب في جرك الى صفي.

ـ لن أنضم الى صفك مادمت ستواظبين على تصرفك الطفولي هذا.

فردت بتمرد وهي تخرج من السيارة:

ـ هذا لأنك لم تحبي قط.

أصابت كلماتها كبرياء أليسا لكنها على حق! هي لا تنكر رغبتها في عدم الزواج. إنما يوماً ما عندما ستجد هذا الحبيب ستسعى للزواج به.. فهل ستكون عندها أقل انقياداً في حكمها؟

عندما دخلت أليسا المنزل تتبع دوروثي، وقف جايمس وتقدم نحوها ويداه ممدودتان:

ـ أمازلت غاضبة مني على تصرفي يوم أمس؟

فقررت أليسا أن تكون دبلوماسية:

ـ أنا هنا لأنني صديقة دوروثي.

ـ أي صديق لدوروثي هو صديقي. والآن دعيني أقدمك الى شقيقتي جولي.

وابتسمت جولي، التي لم تكن تشبه أخاها إلا بالصوت الاجش الجذاب وقالت لأليسا:

ـ تحدثت عنك دوروثي كثيراً، حتى بت أشعر بأنني أعرفك مسبقاً. تعالي واجلسي قرب النار، فالبرد قارس هنا.

جلست أليسا وتقدم جايمس ليضع حطبة أخرى في النار.

ـ ما رأيك ببعض الشاي جولي؟ هذه الطريقة الوحيدة للتدفئة.

فوقفت جولي تقول للفتاتين:

ـ لعلكما لا تمانعان في احتساء الشاي بالأكواب، فقد تركنا الآنية الخزفية في القصر مع الساقي.

فقال أخوها:

ـ لا تعتذري أبداً على فقرنا.

ورغم سخرية كلماته، لاحظت أليسا نظرة ألم في عينيه وهو ينظر الى دوروثي... يا للمسكين، لا بد أنه يجد صعوبة في حب فتاة مصروف ملابسها أكثر مما يكسبه في سنة.

وقفت جولي على كرسي منخفض لتتناول علبة البسكوت من الرف. فلاحظت أليسا اثار جرح على ساقها، فأشاحت بوجهها. لكن الفتاة لاحظت نظرتها هذه فقالت:

ـ إنه أثر جرح من جراء حادث سيارة.. عادة أخفيه ببعض الكريمات.. ولو عرفتك قادمة لأخفيته.

أثناء احتسائهم الشاي سلاّهما جايمس بقصص ممتعة. كان كلامه جذاباً مثل جاك هاريس، وتساءلت ما قد يقوله جاك عن صديق دوروثي لو تعرف عليه. ثم قالت دوروثي فجأة:

ـ لماذا لا تعرض بعض لوحاتك على أليسا؟

ـ تركت معظمها في الشقة في نيويورك.

ـ لكنك جئت ببعضها.

فقالت أليسا:

ـ أرغب في رؤيتها.

ـ تحملي المسؤولية إذن.

قادها الى غرفة نوم صغيرة في الطابق العلوي.. كانت النافذة تواجه الجنوب لكن هذا لم يؤثر على اضاءتها. وفي الغرفة أكثر من عشر رسمات ليس لها اطارات. راقبها جايمس عاقد الذراعين دون اكتراث وهي تتأملها. خفق قلب أليسا وهي تنظر الى ألوانها البراقة، والى قناطرها وزواياها وخطوطها الغريبة التي توحي بالفن التجريدي... وقال لها ساخراً:

ـ لا تقلقي إذا لم تعجبك. فستجدين معي صحبة جيدة على أي حال.

ـ أنا لا أعرف الكثير عن الرسم.. خاصة هذا النوع.

ـ ما من أحد يعرف الكثير عنه، إنه فن جديد. لأنني لا أتبع مدرسة معينة، بل أحاول خلق مدرسة خاصة. يقول لي المختصون إن لي موهبة، لكنني أرفض رسم ما يرغبه الجمهور لذا يرفض أصحاب المعارض رسوماتي. فالزبائن يريدون ما يتماشى مع أثاث منازلهم.

لم تدر ما ترد، فجهلها بالامر جعل الحكم عليها مستحيلاً. وكان كل ما فهمته إنه يهتم جداً بعمله. ورجل يهتم بما يعمل بطريقته هذه لن يكون من ذاك النوع الذي يعتقده رون اردين.

سمعته يتابع كلامه بعد أن وقف قرب النافذة:

ـ لو بعت نفسي لأجل المال، فلن أعرف متى سأتوقف.. لذا استمر في رسم ما أريد رسمه.

ـ إن بالموهبة تصنع ما يمكنك، وبالذكاء تفعل ما يجب عليك!

لم تعد السخرية ظاهرة على وجه جايمس، فوضع يديه على كتفيها:

ـ شكراً لك.. هذا أرق وأجمل كلام قيل لي.

كان الوقت ظلاماً عندما عادتا الى «برايت هاوس». ولم تطرح دوروثي السؤال الذي كان يجول في بالها منذ غادرتا منزل جايمس، إلا بعد أن كانتا تصعدان السلم الى الطابق العلوي لتغيير ملابسهما استعداداً للعشاء:

ـ حسناً.. ما رأيك بجايمس الآن وقد اتيحت لك فرصة رؤيته عن كثب؟

ترددت أليسا قليلاً.. إما أن تتهرب من الاجابة، وإما أن تقول الحقيقة. لكن حين تقول الحقيقة، يكون أمامها مجال للتراجع عنها. عندها تكون قد انضمت الى جانب أحدهما، إما الى جانب رون آردين أو الى جانب أخته. وتنفست بعمق، وقالت بحزم:

ـ لقد أعجبني.. أعجبني!

* * *

فراشة المحبة

٤ ـ قطع الوعد

كانت السماء في الايام القليلة التالية ممطرة، عاصفة، فاستحال معها الخروج من المنزل. التقط جايمس انفلونزا فقلقت دوروثي عليه لكنها اضطرت الى تسلية أليسا. في اليوم الرابع، جالت بها في المنزل ثم أنهت الجولة في غرفة الالعاب المحاذية للاسطبلات. ولأن أليسا كانت تتوقع رؤية مخزناً كالاسطبل فيه طاولة «كرة طاولة» وطاولة «بلياردو»، ذهلت عندما واجهتها تلك الأبهة. إنها غرفة ألعاب تبدو وكأنها خارجة من فيلم انتجته هوليود، لكن كلمة غرفة ألعاب كلمة خاطئة، لأن هذه الغرفة تحتوي على بركة سباحة حارة، وملعب تنس وأدوات للتمارين الرياضية، وماكنة عرض أفلام صغيرة ومكتبة فيها أفلام، وطاولة مقصف رائعة، و «هاي فاي» حديث الطراز إضافة الى أكوام من التسجيلات.

قالت أليسا مقطوعة الانفاس:

ـ لقد تساءلت دائماً عن قاعة الرقص هنا، وها قد اكتشفتها.

ـ أنت مخطئة.. فلدينا قاعة رقص لائقة داخل المنزل. هذه فقط لحفلات الصيف، لولا المطر، لضغطت على زر وأريتك كيف يرتد السقف الى الجوانب.. أمر رائع.. أليس كذلك؟ أراهن أنك لم تتوقعي أن يكون أخي مهتماً بمثل هذه الامور؟

ـ لا.. لا أستطيع تصوره يرقص إلا إذا كان ذلك واجباً عليه.

أدارت دوروثي زراً لتصدح الموسيقى، ثم قالت:

ـ كان رون مرحاً جداً في الماضي. لكن منذ بضع سنوات كان على علاقة مع امرأة تكلفت عليه حياته، ومنذ ذلك الوقت لم يعد لديه وقت للحب.

ـ لا يمكن لأي انسان أن يعيش دون حب.

ـ إنه لا يعيش دون حب، فلديه عشيقات كثيرات يكلفنه كثيراً!

وبدأت ترقص حول القاعة، وأردفت.

ـ أستطيع فهمه، فعندما ينزعج من إحداهن ينتقل الى أخرى.. إلا إنه لا يحدثني عنهن أبداً. وقد عرفت أخباره من الاشاعات الدائرة حوله.

أحست أليسا بالأسى على رجل يقدر المال على أن يوفر له كل شيء إلا السعادة كما أحست بالأسى أيضاً على دوروثي ذات المزيج الدافيء والساخر في آن. كم من الحب يحتاجه الاخ والاخت!

مع الايام وجدت أليسا نفسها تعتاد على الفخامة، ووجدت نفسها تضحك على نفسها الساذجة التي تمر بشيء لم تره من قبل. كان مذاق الطعام الطيب يزداد لذة عندما يقدّم في أوعية صينية فخمة، وكان عدم اضطرارها الى توضيب فراشها أو الى غسل ثيابها وكويها مدعاة للرّاحة والترف.

كان قد مر على وجودها في «برايت هاوس» ما يقارب الثلاثة أسابيع عندما وصل جاك هاريس، يريد تصوير منزل رون من الخارج، لصالح إحدى المجلات. فاغتنم الفرصة ليبيت ليلته فيه.

لاحظت أليسا من طريقة مداعبته لدوروثي وممازحته للعمة أنه صديق مقرب للعائلة، وتساءلت عن ذلك الرباط الذي يجمع الرجلان معاً.

بعد تناولهم العشاء تلك الليلة اقترحت دوروثي الرقص، لكن جاك وهو يغمز العمة، قال إنه تعب جداً ويقترح لعبة ورق عوضاً عن الرقص. فلعب الاربعة الى ما بعد منتصف الليل. عندها قررت أليسا

أنها لن تستطيع أن تسهر وقتاً أطول، فقالت:

ـ سأوي الى الفراش.. تجاوزت الساعة منتصف الليل.

احتجت دوروثي:

ـ مازال الوقت باكراً.

فقاطعها جاك.

ـ لا.. هذا ليس صحيحاً، فأنا متعب أيضاً، لا تنسي يا سيدتي الشابة أنني كنت أتجول طوال النهار التقط الصور بينما كنت أنت في راحة.

رمى الورق من يده، ثم وقف واضعاً ذراعه حول كتفي العمة:

ـ تعالي عمتي.. سأرافقك الى غرفتك.

كانت أليسا قد خلعت ثيابها تمشط شعرها أمام المرآة، عندما رن جرس الهاتف الداخلي.. وكان المتصل جاك:

ـ أنا وحدي أخيراً. ما رأيك بالانضمام إليّ لاحتساء شراب ساخن قبل النوم؟

ـ سأكون عندك بعد قليل.

كان ينتظرها في الردهة، وضع ذراعها تحت ذراعه، وقادها الى غرفة الموسيقى حيث كان قد أشعل النار من جديد. مغلياً إياها بالحطب الذي كان يتعالى حسيسه في الموقد. عندما قدّم لها كوب شوكولا ساخنة رفضته لأنها تكره طعم الشوكولا، فأمرها بأن تشربه.

ـ سيفيدك، فأنت مازلت نحيلة وشاحبة.

ـ وهل تتوقع أن اكتسب اسمراراً من الشمس وكأنني في ميامي؟

ـ وما المانع. لا أفهم لماذا طلب منك رون العيش هنا. كان يجب عليه ارسالك ودوروثي في رحلة بحرية.

وجلس قربها على الاريكة. ثم أضاف:

ـ أعتقده يخشى أن يعجز عن السيطرة على دوروثي بعيداً عن «برايت هاوس» حيث سيتنكر ربما جايمس في زي مضيف على

الباخرة.

ـ تعرف عن جايمس إذن؟

ـ بالطبع.. ولهذا أنت هنا. أليس كذلك؟

ـ أتعلم أن جايمس استأجر منزلاً في القرية القريبة؟

صفّر جاك دهشة:

ـ إنه بالفعل يسعى وراء ما يريد.

ـ لا تلمه. فلو أحببت امرأة لفعلت فعله.

ـ بكل تأكيد.

فسارعت تردف:

ـ أظن أن السيد آردين تسرع في الحكم عليه لأنه فقير. وإذا كان مخلصاً في حبه لدوروثي فسيجد صعوبة في تحسين أوضاعه المالية حتى يؤمن حياة مترفة لها.

ـ صحيح، هذا ليس عدلاً. انظري الى تصرفاته من وجهتين: من وجهة نظرنا نحن ومن وجهة نظر رون. أتتصورين دوروثي تعيش بعوز؟

ـ إذا كانا يحبان بعضهما فلماذا لا يساعدهما السيد آردين؟

ـ أظنه يساعدهما لو آمن أن جايمس مخلص.

ـ لا سبب يدعوه الى العكس. أم أن هناك سبباً؟

ـ لست أدري. لكنني أعرف أن حكم رون على الاشخاص صائب، وإلا لما وصل الى ما هو فيه. لا تظني أنني لم أجادله بشأن هذا الموضوع. لكنني لا أستطيع دفعه لتغيير رأيه. فهو مصمم على كره الفتى.

فارتجفت:

ـ أرجو ألا يلومني على ما يحصل. لكنني لم أستطع منع دوروثي عن رؤية جايمس. ليس بعد أن سكن قريباً منها.

ـ لقد فعلت ما بوسعك. أظن أن رون سيوافقني رأيي عندما

يعود. لكن المشكلة أنه كلما ازداد ماله ازداد خوفاً من الناس.

ـ قد يتغير إذا تزوج.

ـ هذا ما لا أتصوره يحدث، إنه يؤمن بأن المال يشتري كل شيء، خاصة النساء. وعليه فلا أحسبه سيتزوج من إحداهن.

ـ حتى من أجل هذا كله. ألا يريد وريثاً يحمل اسمه؟

ـ معك حق في هذا.. لكنني اقترح أن تقولي له ذلك بنفسك، فأنت أقل الفتيات اهتماماً بالمال.

ـ لكنك لا تعرفني جيداً.

ـ إني أتعرف إليك شيئاً فشيئاً.

في الايام التالية فكرت أليسا في ما قاله جاك. وتساءلت عما إذا كانت قد تسرعت في الحكم على مضيفها. لكن من الصعب ألا يحكم المرء مسبقاً على رجل سمع عنه الكثير.. وتذكرت قصصاً سمعتها عن قساوته في العمل، وتفكيره السريع، وحدته. إن من يعمل معه يتحدث عنه حديثاً حسناً. ربما هذا لأنهم لا يتحملون قول العكس فعملهم يعتمد عليه... لكنها هنا في منزله الرائع أحست بأنها ستعرف رون آردين معرفة وثيقة.

في آخر يوم جمعة من الشهر، اتصلت سكرتيرته لتقول إنه سيصل بعد الظهر وإنه سيعود الى «برايت هاوس» في المساء. لم يتوقعوا عودته قبل اسبوع لذا أصيبت العمة بالذعر.. فتركت غداءها وسعت الى فتح غرفته وتنظيفها والى التشاور مع الطاهي بشأن طعام نهاية الاسبوع، تاركة أليسا وحدها مع دوروثي الشاحبة الوجه:

ـ ماذا سأفعل، سيقتلني رون إذا عرف أنني كنت أقابل جايمس في غيابه.

ـ لا تكوني سخيفة، قد يتكدر لكن..

ـ يتكدر؟ بل سيستشيط غضباً. أنت لا تعرفين كيف يصبح في غضبه. ولو كان يفقد أعصابه لهان الامر، لكنه يصبح بارداً متحفظاً

يجمّدك باحتقاره لك. يجب أن تساعديني!

ـ لكن أخاك يحبك، ولن يؤذيك.

ـ لا أفكر في نفسي، بل في جايمس.

ـ تحدثنا عن الامر مراراً، واتفقنا على أن اترقب وقتاً مناسباً لأطلعه على وجود جايمس في القرية. فلماذا الخوف الآن؟ لم يتغير شيء!

ـ كان هذا قبل أن يعود، أما الآن، فأرجوك لا تخبريه، لا أريده أن يعرف.

ـ إذا لم نخبره فسيخبره شخص آخر سواتا، وعندها سيتضاعف غضبه. سيصل إليه الخبر خلال أربع وعشرين ساعة. نحن لسنا في المدينة بل في الريف حيث لا يمكنك كتمان شيء.

اتفقت الفتاتان على أن تذهب أليسا الى منزل جايمس لتقنعه بدقة موقف دوروثي فتطلب منه الرحيل أو على الأقل عدم محاولة رؤية دوروثي، قبل أن تخبرا السيد آردين عن وجوده.

اطمأنت أليسا عندما لم تجد شقيقته في المنزل، دقت الباب مرتين، ثم دفعت الباب لتدخل. أطل عليها جايمس من عُليته، حيث يعمل، وأشار إليها بالجلوس، ومضت عشر دقائق قبل أن يرمي الفرشاة من يده، ويدير الرسمة نحو الجدار. تقدم نحوها يمسح يده الملطخة بالالوان بقطعة قماش، ليسألها عن سبب الزيارة فقالت:

ـ جئت لأراك.

ـ لي الشرف. لم أكن واثقاً من قبولك بي. فلتدخل المطبخ، ثمة نار في الموقد، وسأصنع لك فنجان شاي.

ـ هذا رائع.

في المطبخ وقفت أليسا تفرك يديها أمام الموقد.

ـ ثمة عاصفة قادمة من القطب، كدت أتجمد أثناء الطريق الى منزلك هذا.

ـ لو كنت ضيفاً في «برايت هاوس» لما تجولت إلا في سيارة فاخرة.

ـ أنا واثقة من هذا.

وتضايقت من إجابتها له، فهذا الموقف يحتاج الى كل اللباقة الممكنة، وأجبرت نفسها على الاسترخاء والابتسام له. وضع الابريق على النار ثم أخرج فنجانين من الخزانة:

ـ فلنعقد هدنة بيننا.

ـ ما علمت أنك ضليع في الاعمال المنزلية جايمس.

ـ أنا لست ضليعاً، فها أنا أحس بالضياع بدون رعاية شقيقتي.

ـ إنها أم لك أكثر منها أخت.. أليس كذلك؟

ـ طبيعي.. فهي التي ربتني.

ـ كما ربّى رون اردين دوروثي.

ـ أبداً.. ليس كما رباها. فلم تكن جولي تملك المال، أما الحب فلديها الكثير منه وقد أغدقته عليّ. وهذا عكس ما ينطبق على السيد آردين.

ـ السيد آردين رجل عملي.. لكنني واثقة من تعلقه بأخته.

ـ لماذا يتركها وحيدة إذن؟

ـ إنه يدير أعمالاً ضخمة، والكثير من الناس يعتمدون عليه، ومن المستحيل عليه أن يكون معها دائماً.

ـ حسناً، أوافقك الرأي شرط أن تصدقي أنني أحبها أيضاً؟

ـ لا أصدّق من أجهله. أنت مازلت غامضاً بالنسبة لي. وما أستطيع قوله إن دوروثي تحبك... أو ربما انجذبت إليك جسدياً فقط.

فرد عليها بحدة:

ـ وما الذي يجعل منك خبيرة في الحب؟

ـ أنا لم أدّعِ أبداً أنني خبيرة.. أنا أذكر أمامك فقط بعض الشكوك

المتعلقة بعلاقتكما.

تصاعد البخار من الابريق فاستدار ليرفعه عن النار، عندها وجدت أن الحديث معه وظهره إليها أسهل:

ـ رون آردين سيعود من السفر بعد ساعات قاصداً «برايت هاوس».

ـ إذن لقد عاد السيد الى منزل أسلافه، وعلى فلاحيه أن يرتجفوا رعباً! فماذا تتوقعين مني أن أفعل؟

ـ غادر المكان فوراً.

ـ وهل انسحب لأترك دوروثي تواجه الكارثة وحدها؟ الى أي حد تعتقدينني جباناً؟

ـ الامر سيكون أسوأ بكثير لو وجدك في القرية.

وضع جايمس الشاي في الابريق ثم صب فوقه الماء:

ـ ما الذي يجعل رجلاً على هذه الدرجة من التسلط؟ ألأنه يستطيع تحرير شيك لشراء كل شيء حتى النفوس؟

ـ إذا لم تشأ مغادرة القرية فعلى الأقل عدني بألا ترى دوروثي ثانية الى أن تتاح لي فرصة التحدث الى أخيها.

ـ النبيلة أليسا.. أمستعدة الى أن تكوني بطلة قضيتنا أمام الغول؟ ألا تعلمين أنه سيبتلعك بلقمة واحدة؟ أيتها المسكينة الحلوة، المضللة. ثمة طريقة واحدة للتعامل مع رجل مثله.. وهو مواجهته بالامر الواقع.

ـ أتعني بالهرب معاً؟ إذا كنت فعلاً تحبها، لن ترغب في هذا لها. إنها تحبك، لكنها كذلك تحب أخاها.

ـ إنها تكرهه!

ـ قد تكره سيطرته عليها، والطريقة التي يتصرف بها نحوك، لكنه عائلتها كلها. كيف ستشعر لو اضطررت للاختيار بين دوروثي وجولي؟

فصاح بحدة:

ـ أنا أريدها وسأحصل عليها.

ـ إذن، أرجوك كن صبوراً. فإذا رأى رون آردين أنك ستنتظرها حتى تبلغ الحادية والعشرين فستختلف مشاعره نحوك.

ـ أنتظر! أنتظر حتى تصبح عجوزين! أهذا ما تطلبينه مني؟ يبدو واضحاً كل الوضوح أنك لم تحبي قط وإلا لما تحدثت بهذا الاسلوب.

ـ أنا لا أدعي أن الامر سهل.. لكن الكثير من الناس قام بهذا.

ـ يا فتاتي العزيزة. لن انتظر حتى تبلغ دوروثي الحادية والعشرين. إنه انتظار طويل، قد تغير خلاله رأيها.

فخفق قلب أليسا:

ـ إذا قلت هذا، فهو يعني أنك لست واثقاً منها. إذا كنت تظنها ستغير رأيها فمن الافضل لها أن تنتظر.

ـ هنا اخطأت. دوروثي ليست مثلك. أنت يمكنك انتظار رجل سنوات وسنوات دون أن يموت حبك. لكن دوروثي..؟ إنها كالنبتة الاستوائية، حبها بحاجة الى النور والدفء والعناية. وإذا لم تتزوجني قريباً فقد تتحول عن حبي.. لكن حين تصبح زوجتي، فتختبر حبي وتجد عندي الامان.. فلن تندم.

ـ وأي أمان قد تضمنه لها؟

ـ أمان حبي. لا تظني أبداً أن الامان يعني المال. أستطيع منحها حبي، ووقتي، والامان بين ذراعي.

ـ إذا وعدت بألا تراها خلال اليومين القادمين، فأنا أعدك بأن أتحدث الى رون آردين. وأنا أكيدة من أنني قادرة على جعله يعيد النظر في حكمه عليك. أمهلني بعض الوقت.

تردد قليلاً في الاجابة ثم قال:

ـ لابأس. اتفقنا. سأبتعد عنها الى أن تتاح لك فرصة محادثة

«الأخ الأكبر». لكن لا تتركيني أنتظر طويلاً، فصبري سرعان ما ينفد.

فضحكت وهي تتناول وشاحها وقفازها.

ـ ستتركينني بهذه السرعة؟ (قال لها).

ـ حثت لتعدني بعدم رؤيتها وقد أخذت وعدك. أما الآن فيجب أن أذهب قبل أن تسحبه، كما أن الظلام سيحل قريباً، وأكره السير على الطريق في الظلام وحيدة.

ـ أتريدين أن أوصلك؟

ـ لا أريد منك الاقتراب من «برايت هاوس» حتى يدعوك السيد آردين بنفسه!

ـ أتصدقين هذا حقاً؟

ـ أجل أصدق.

ـ ستكونين عندها صانعة المعجزات! أم ستستخدمين سحر عينيك؟

ـ سأستخدم المنطق والوقائع.

ـ إذن أنت من فئة نادرة من النساء، فالنساء عادة تقودهن عواطفهن. حظاً سعيداً أليسا، وليوفقك الله لأجلي!

* * *

فراشة المحبة

٥ ـ لا أعرفك أبداً

اقتربت من برايت هاوس، غارقة في أفكارها، فلم تسمع هدير محرك السيارة القادمة من الخلف، الزمور دوى في أذنيها، وأنوار السيارة أضاءت طريقها فبانت الاغصان العارية أمامها. عندما سمعت هدير المكابح فجأة، رمت نفسها الى جانب الطريق لكنها لم تكن سريعة كفاية، فصدمها جناح السيارة ورماها أرضاً، تاركاً إياها تشعر بأن أنفاسها هجرت جسدها. استلقت حيث هي، تشعر بدوار لكن ما هي إلا هنيهات حتى سمعت وقع أقدام وأحست بيدين تساعدانها على النهوض.. أدارت وجهها فإذا بها أمام وجه رون آردين الشاحب القلق، فشهقت وهي تود لو تنشق الارض وتبتلعها.. ما هذه الطريقة المخزية لمقابلته ثانية!

سألها بصوت خفيض متوتر:

ـ هل أصبت بأذى؟

ـ لا أظن أن هناك كسوراً!

ـ شكراً لله، أكره أن أراك ثانية في المستشفى.. يبدو وكأن قدرك التعرض للحوادث دائماً..

ـ عائلة آردين وحدها تسبب لي هذه الحوادث.

سرعان ما احمرّ وجهها بسبب فظاظة ردها:

ـ أرجو المعذرة.. كانت هذه غلطتي. ما كان يجب أن أسير في الطريق.

ـ هراء! أين ستسيرين إذن؟ الغلطة غلطتي لأنني كنت أقود السيارة بسرعة.

قادها الى سيارته:

ـ على كل الاحوال ما كان يجب أن تتجولي في ليل الشتاء البارد.. بل كان عليك أن تكوني قرب النار..

ـ لم أعتد على مثل هذا.

ـ أرسلتك الى هنا للنقاهة يا آنستي.. كيف وجدت الحياة هنا؟

وانطلق بالسيارة، فأجابت:

ـ إنه منزل رائع.. كيف كانت اليابان؟

ـ لست أدري، فالرحلة لم تكن للنزهة.. إنها رحلة عمل.

ـ إنه لمؤسف حقاً أن يقطع المرء هذه المسافة كلها دون أن يرى شيئاً من معالم تلك البلاد.

ـ قابلت من أريد مقابلته، وهذا هو المهم.

ـ وهذا يعني أن أعمالك كانت مرضية.

ـ تماماً.

أوقف رون السيارة أمام الابواب، وأطفأ المحرك، لكنه لم يتحرك لينزل بل سأل:

ـ وكيف حال دوروثي؟ أنت لم تذكريها أمامي بعد.

ـ إنها بخير.. شكراً لك.

ـ ألم تكن كئيبة؟ كما أرجو.

وصمت عندما انفتح الباب، يطل منه خادم تلحق به العمة فقال:

ـ لن نستطيع التحدث الآن.. سنترك الامر الى ما بعد.

كانت العائلة مجتمعة في غرفة الموسيقى عندما عادت أليسا من غرفتها. ورغم إعراضها عن النظر الى رون، لاحظت إنه يختلس النظر إليها من خلف دخان سيكاره.

أجبرت نفسها على تناسي الورطة التي زجّت نفسها فيها ثم

راحت تتأمل الفستان الياباني الفاخر الذي أهداه رون لأخته. وقالت:

ـ إنه رائع.. لونه كلون بشرتك ستبدين فيه امرأة يابانية عندما ترتدينه.

ارتدت دوروثي الروب، فتقدم رون منها ليعلمها طريقة عقده كفراشة. ثم رفع البصر فجأة فإذا به يرى أليسا تراقبه.. شيء ما في نظرته جعلها تلتفت عنه لتتأمل باعجاب المجلد المرسوم باليد الذي أحضره الى عمته. فسألها ببرود:

ـ ألا يعجبك الفن الياباني؟

ـ أجده بارداً جداً.

ـ أتفضلين شيئاً أكثر حرارة. مثل هذا مثلاً؟

مد يده بسرعة فتناول علبة عن الكرسي وقدمها لها.

أخذتها منه مترددة، مرتجفة اليدين، ففتحت الغطاء ثم أبعدت الاوراق الهشة وأخرجت معطفاً من الكشمير طويلاً ناعماً كالحرير، دافئاً كالفرو، خفيفاً كالريش.. فشهقت ووضعت القماش الناعم على خدها، فقال:

ـ ألن تجربيه؟

ـ أهو لي؟

ـ بالطبع.

ـ لكن.. لا لن أقبله.

ـ لا يمكنك أن تكوني ناكرة للجميل وترفضيه.

أخذه منها بمرح ثم وضعه على كتفيه، رافعاً شعرها بيد واحدة، فأحست بارتجاف عندما لامست يده عنقها.

ـ لم أتلقَ في حياتي شيئاً رائعاً كهذا! إنه غالي الثمن بالنسبة لي. لو جئتني بكتاب أو «كومبتو».. لـ..

ـ أقدم أشياء كهذه الى عمتي وأختي لأنهما تمتلكان كل ما تريدانه. فأردت أن لعديك شيئاً يفيدك على أن يكون جميلاً.

ـ لكنني لن أستطيع قبوله.. فهذا كرم زائد منك.
ـ أرجوك، لا تبحثي الامر بعد، المعطف لك. فافعلي به ما

تشائين.

ذلك المساء، لم تجد فرصة للتحدث إليه، فبعد انتهاء العشاء ادعى التعب وأوى الى الفراش. ويوم السبت أمضى النهار كله مع مدير أملاكه، وفي الليل وفد عليه الزائرين من المستأجرين. بعد العشاء اقترح رون أن يلعب الجميع لعبة «روليت» منزلية، وبينما كان الخدم يحضرون الطاولة تقدم رون من اليسا وسألها:

ـ ألعلك تحبين هذه اللعبة؟
ـ لم العبها من قبل.
ـ سأعلمك.
ـ أفضّل أن أتفرج.
ـ أفضل طريقة للتعلم هي اللعب.

وجلس على رأس الطاولة.

ـ العبوا من فضلكم. عشرة سنتات للرهان مقبول.

سرعان ما علمت أن هذا الرهان ليس هو المعتاد، وانه خفّضه خصيصاً لها. أشار الى مقعد قريب منه، فجلست عليه فرحة. كانت قوانين اللعبة بسيطة وما أن تعلمتها حتى وجدت نفسها تنجرف في اثارة اللعب، وكان الجميع يتصرّف وكأن الرهان عشرة دولارات لا عشرة سنتات! رفعت يدها تكبح ابتسامة فسارع يسألها:

ـ ماذا يضحك؟
ـ أنت.. أنت تلعب وكأن العشرة سنتات مئة دولار.
ـ أنا ألعب لأربح، مهما كان الرهان... اللعبة هي المهمة.
ـ أتحب الربح؟
ـ يجب أن أربح.
ـ ماذا يحدث لو خسرت؟

ـ لم أخسر في حياتي شيئاً أردته.
ـ ولا امرأة.

فجاء رده بارداً هادئاً:

ـ خسرت امرأة مرة، لكنني يومها كنت على خطأ لأنني سمحت للعواطف بأن تتغلب على المنطق.

وتركت نهاية الاسبوع تمر كما هي، لا تتجنب مضيفها وفي الوقت نفسه لا تسعى للانفراد به.

يوم الاحد بعد الغداء مباشرة، قام رون آردين بجولة على أملاكه. وأعلنت دوروثي أنها ستزور زوجة أحد المستأجرين الخارجة من المستشفى مؤخراً، في حين أن العمة اختفت تنشد قيلولة بعد الظهر. أما اليسا فبقيت في المكتبة تقرأ الصحف ثم اختارت أحد الكتب. وسرعان ما دفعها دفء النار الى الاغفاء، فتأرجحت في تلك اللحظات اللذيذة ما بين النوم واليقظة.

أيقظها صرير الباب فاستوت جالسة وإذا بها ترى أمامها رون آردين، فشدت تنورتها التي ارتفعت فوق ركبتيها، ووقفت خافقة القلب مرتجفة اليدين. وتمتمت:

ـ مرحباً.. هل.. أمضيت وقتاً ممتعاً؟
ـ أجل.. لكن الطقس كان رديئاً!

دنا منها فلاحظت أن التعب ظاهر عليه أكثر مما كان عليه يوم وصوله. ارتدت عنه قليلاً، فاصطدم كاحل قدمها بالكرسي وكادت تقع لولا امساكه بها. كانت ذراعه كالفولاذ، واسترخت عليها، فقال:

ـ أنت ترتجفين... أمن الجوع أم من القلق؟
ـ القلق.. فأنت ترعبني!

فابتسم:

ـ تعطينني دائماً رداً لا أتوقعه. عادة أعرف ما ستقوله النساء.
ـ إن هذا لمضجر لك!

فهز كتفيه والتقط الكتاب الذي كانت تقرأه.
ـ ريتشارد أوزبون.. أهو شاعرك المفضل؟
الحديث عن الشعر ساعدها على استعادة رزانتها:
ـ أحب الطريقة التي يكتب فيها أكثر مما يكتب فعلاً.
ـ وهل توافقينه رأيه في المرأة؟
ـ بالتأكيد لا. إنه ساخر... فالنساء لسن كلهن قاسيات غشاشات كاذبات وخائنات.
ـ إنه يصورهن كما يجدهن.. وكما أجدهن أنا كذلك. كاذبات خائنات.
ـ إذا كان قولك صحيحاً، فأنا أشفق عليك!
فقال ببرود:
ـ لا تأخذي قولي على محمل شخصي آنسة وايتنغ.
ـ لكن في قولك هذا المغزى الشخصي.
ـ ماذا تعنين؟ لا أظنك امرأة كاذبة.
صمتت وهي تبلل شفتيها بلسانها في محاولة منها لطرق موضوع جايمس في اللحظة المناسبة.. لكنها لم تلبث أن وجدت نفسها تروي القصة كلها. منذ لقائها الاول حتى اتخاذها القرار في السماح لدوروثي لمقابلته.
استمع إليها رون آردين بصمت دون أن يظهر على وجهه ما يكشف أية مشاعر. لكنه عندما تكلم كان صوته كالجليد.
ـ قصة جميلة آنسة وايتنغ. أختي حنثت في وعدها وأنت ساعدتها.
ـ فعلت ما حسبته خيراً لها.
ـ ومن أنت لتحكمي؟
ـ كان علي اتخاذ القرار، وظننتك تثق بي.
ـ المسألة ليست مسألة ثقة. ذكرت لك ما أريد أن تفعليه، وسبب

رغبتي في بقائك هنا.. لكنك قمت بعكس ما أريد.
ـ لم يكن أمامي خيار.. ألا ترى هذا؟
دنا من المدفأة يحدق في النار:
ـ أنا لا ألومك أنت.. بل ألوم دوروثي. هي من حنثت في وعدها و..
ـ أنت أجبرتها على الوعد.
صمت قليلاً ثم هز رأسه مضيفاً:
ـ أظنك تعتقدين أنني أطلب الكثير من الناس؟
ـ أجل.. مع أن دوروثي لم تحنث في وعدها.. فهي لم تذهب إليه، بل هو من جاء إليها.
ـ ستكون المرة الأخيرة.. أكره الفكرة، لكنني سأحجر عليها قانونياً. وإذا أصر على رؤيتها سأزجه في السجن.
ـ وعندما يخرج من السجن سيكون أول ما تفعله دوروثي الهروب معه الى مكان لا يطالها فيه القانون المحلي.. ألا ترى أن ما ستقوم به ضد جايمس قد يجعلها تنقلب ضدك، ويرميها في أحضانه؟
ـ إنها الآن في أحضانه.
ـ ليس بالطريقة التي تخشاها.
ـ إنه قادر أن يلعب بها كما يشاء.
ـ ليس تماماً.. ولكنه سيفعل إذا لم تتصرف بحذر.
ـ هل ستعلميني ماذا أفعل؟
أخذت نفساً عميقاً:
ـ أجل. لك أن تطردني إذا شئت، لكنني أتوسل إليك أن تصغي إليّ أولاً.
جلس على المقعد المواجه لها ووجهه شاحب أكثر مما توقعت:
ـ أظنك معجبة بجايمس كذلك؟
ـ أنا لا أفكر فيه.. بل أنا قلقة على دوروثي.. لا يمكنك أن

تمنعها عن حبه مهما اتخذت من خطوات قانونية. وإذا صممنا على الزواج فسيهربان. وإذا كان جايمس ذلك النذل الذي تظنه، فعليك أن تفسح في المجال لدوروثي حتى تكتشفه وذلك بالسماح لها بأن تقابله أكثر.

- تقابله أكثر؟

- طبعاً، فإذا كان رأيك به مصيباً، فهذه فرصتك الوحيدة لاثباته.

ران صمت طويل، قطعه رون آردين بصوت بارد.

- كان يجب أن تعملي في السلك الدبلوماسي آنسة وايتنغ.

- أيعني.. أيعني هذا.. إنك ستفعل ما طلبت منك؟

- سأجرب فترة. بما أن أساليبي لم تنجح، فلأجرب أساليبك.

- سرني هذا سيد آردين!

- بسبب استسلامي لدوروثي أم بسبب استسلامي لك؟

فابتسمت:

- للسببين معاً.. شكراً لك سيد آردين..

- ناديني رون، لأناديك أليسا.

فاحمر وجهها حتى جذور شعرها، ووقفت، كم يختلف اسمها عندما تلفظه شفتاه، وكم ينطق به بشكل مختلف:

- الى أين؟

- الى غرفتي.. أريد احضار منديلي.

- لا تطيلي الغياب.. فأنا أكره تناول الشاي وحيداً.

نظرت إليه، البعد عنه كان قد أعطاها الثقة بالنفس، فقالت:

- لا أعتقدك تأبه بوحدتك.

- أنت مخطئة! لكنك لا تعرفينني جيداً.. أليس كذلك؟

- أنا لا أعرفك أبداً.

- يجب أن أعوض عن هذا. أليسا. إذا لم تعترضي.

أمسكت يدها بالباب، إذا كان يريد إغواءها، فلن تعطيه الرضى.

وقالت برزانة:

- لا مانع لدي على الاطلاق. والآن لو تسمح لي، سأذهب لاحضار المنديل، وأعود إليك فوراً.. رون!

* * *

استغربت أليسا السهولة التي تم فيها إحلال الهدنة بين رون وجايمس. فبعد موافقته على اتباع رأيها، عامل رون الشاب وكأنه عريس المستقبل فلم يمر يوم دون وجود جايمس في «برايت هاوس».

أمضى رون عطلة الاسبوع الأول فقط في الريف. لكنه فيما بعد طفق يأتي ليلياً، وهذا وضع كان غير عادي لكن أليسا لم تعرف بأنه غير عادي إلا حين قالت له العمة خلال العشاء بعد مرور ثلاثة أسابيع على عودته:

- أليست الرحلة طويلة عليك كل يوم؟

- لا يهم.. هذا يعطيني الفرصة لأراجع بريدي يومياً.

فقاطعت دوروثي:

- لقد تغيرت! أذكر أنك كنت تتذمر حين تأتي في نهاية الاسبوع.

- هذا عندما كنت شاباً. أما الآن فبت أكبر عمراً وأكثر حكمة، بحيث رحت أقدّر الراحة المنزلية.

فودت أخته ضاحكة لأليسا:

- أتعتقدينه لا يمنح نفسه الراحة؟

ترددت أليسا، فرأيها سيكون خطأ، والكذب ليس من عاداتها فسارع رون يقول مرحاً:

- ألا ترين أنك تحرجينها بأسئلتك؟

- لا أرى سبباً للحرج، فمن يعرفك بعض المعرفة يرى أنك لا ترضى إلا بما يريحك. ولو حدث إن كنت في الصحراء، لارتديت

سترة رسمية للعشاء ولأمّن لك الماء البارد.

فهمهم رون ضاحكاً، وتعجبت أليسا، لا للمرة الأولى، من مظهره الذي يتبدل تبديلاً عندما يكون مستريحاً. بعد انتهاء العشاء قصد الجميع غرفة الموسيقى، إلا هو فقد تناول فنجان قهوته واتجه الى مكتبه. فقالت دوروثي:

ـ لماذا تزعج نفسك بالمجيء، مادمت تختفي ما إن ينتهي العشاء وكأنك مازلت في مكتبك.

ـ لن أختفي تماماً. لكن لدي بعض الأوراق للدراسة، ولن أستطيع دراستها إلا إذا كنت وحيداً... أرجو أن تنضمي إلي أليسا بعد ساعة هذا إن لم تكوني تعبة.

استغربت أليسا الدعوة الى درجة جعلتها لا تعرف بما تجيب:

ـ حسناً! هل أتوقع قدومك؟

ـ أجل.. بالطبع.

بعد ساعة، ازداد توترها، فراحت ترتجف وهي تقطع الردهة لتطرق باب المكتبة. أذن لها بالدخول، ففتحت الباب ودخلت فإذا به أمام طاولته مستعداً لاستقبالها:

ـ ما هذا الذعر كله.. لن أعضك!

أضحكتها ملاحظته، فتلاشى توترها.

ـ لست خائفة، بل حائرة.

ـ لماذا؟

ـ لأنني لم أفهم ما تريده من رؤيتي.

ـ انظري الى المرآة عزيزتي.. وهناك تجدين الرد!

ارتفع اللون الحار الى وجهها.. أيطريها بكلامه؟ لقد فاجأها الامر حتى أعاد إليها التوتر.. فهل يتعمد إحراجها؟ معرفتها هذه ساعدتها على استعادة رباطة جأشها، وقالت:

ـ لماذا طلبت مني المجيء الى هنا؟ ألأمر علاقة بدوروثي

وجايمس أم أنك تريدني أن أغادر «برايت هاوس»؟

ـ ما هذه الاسئلة الكثيرة.. المبنية جميعها على شكوك خاطئة. طلبت منك المجيء لسبب بسيط جداً. أريد أن أكون وحدي معك. منذ التقينا لم تتح لي فرصة الحديث معك على انفراد.. إلا في مرات قليلة كنا فيها لا نتحدث إلا عن دوروثي.

ـ وماذا هناك غيرها لتتكلم عنه؟

ـ هيا.. هيا الآن أليسا.. أنت امرأة وأنا رجل. وأنا واثق من أننا سنجد كلاماً كثيراً.. أم تريدين مني أن أصدق أنك عشت حياتك دون أن تعرفي ما أعني؟

ـ بالطبع أعرف.. لكنك رب عملي.. وأنا..

ـ أنا هنا مضيفك.

ـ مازلت رب عملي.

ـ أشك كثيراً في أن تسمحي لأي رجل بأن يتراس عليك. إن جو اللطف الذي يلفك خادع أليسا، هذا ما استنتجته حتى الآن.

ـ ربما مرد ذلك الى تربية أبي.. فقد رباني على أن الرجل والمرأة قد يلتقيان على مستوى واحد.. وهذا ما لا يرغب فيه معظم الرجال.

ـ أعتقد أنك خرجت مع العديد من الرجال في السنة الأخيرة؟

ـ الآن أنت المخطىء. فقد علمني والدي حقيقة شباب اليوم.

ـ تبدين قانعة بأن تصبحي عانساً.

ـ أظنني كنت عانساً.

ـ ولماذا صيغة الماضي؟

ـ لأن اقامتي هنا غيرتني.. برايت هاوس عالم مستقل بحد ذاته، ولقد غيرني.

ـ تعنين أنك تبحثين الآن عن مليونير؟

مسكين رون! إنه يخشى دائماً من فتيات يحاولن الايقاع به.

وردت بحزم:

ـ المليونير لا يثير اهتمامي. وما عنيته، أنني بعد ما أحظت به من أشياء جميلة لن أقنع بعد اليوم بالعمل في مكتب.. وعليه سأسعى لاكتشاف العالم. أريد رؤية المزيد من الرسومات والاثاث الاثري.. ثمة أمور كثيرة لا أعرفها حتى الآن.

ـ وكيف تنوين فعل هذا؟

ـ قد أحاول إيجاد وظيفة معلمة في الخارج، أو ربما مضيفة فوق سفينة سياحية.

ـ ذلك عمل صعب، وأنت لست معتادة عليه.

ـ أنا قوية.. لا تحكم عليّ من خلال مظهري.

ـ لم أحكم عليك من خلال أي شيء، لذلك طلبت منك المجيء الى هنا الليلة. أريد أن أتحدث معك لأتعرف إليك أكثر فأكثر.

ـ لماذا؟ أنا فتاة عادية!

ـ ربما هذا هو السبب.. أنت عادية معي.

ـ لا أفهم.

فتنهد:

ـ ألا تفهمين؟ الامر بسيط. إن معظم النساء ممن يعرفنني يعاملنني وكأنني شيء نادر، أما أنت فتتصرفين معي وكأنني رجل عادي لا رجل شهير!

فضحكت:

ـ لو فكرت فيك على هذا النحو لخفت منك.. لكنني حتى وأنا اتصرف معك بهذه الطريقة أجدني أخشى غضبك.

بدا غاضباً:

ـ لا أريد أن تطيعي أمراً لأنك خائفة مني.. فأنا أحب أن أعتقد أنك الآن معي لأنك ترغبين في صحبتي.

ـ لست أدري ما أفعل.. أنا هنا منذ نصف ساعة وكل ما

فعلناه.. هو..

فأردف عنها:

ـ الغزل؟

ـ بل الخصام. فأنت لست ممن يغازل.

ـ إنك لعلى حق فعلاً.. الغزل للأولاد، لا للرجال.

رفعت رأسها لتنظر إليه، فأدهشتها عيناه المستقرتان عليها. لكنها رأت أيضاً أن ظلالاً سوداء تحيط بهما. فقالت بسرعة:

ـ أنت تعب، لِمَ لم تسترح كما يجب؟

ـ أجد صعوبة في الراحة. الطريقة الوحيدة لأرتاح هي اجبار نفسي على التفكير في أمر آخر.

ـ لكنك جاد في اللعب كما في العمل.

فضحك:

ـ أحب روحك المرحة أيضا. كنت سأتسلى كثيراً لو اصطحبتك معي الى اليابان، إذ كنت ستجدين ما تعلقين عليه.

ودون أن تتوقع راح يقص عليها أخبار رحلته الى اليابان، أما هي فراحت تصغي إليه حتى تفهم تعقيدات الصفقة التي كان يعمل على حلها. كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل عندما توقف عن الكلام. وأطلق تنهيدة بعد أن نظر الى ساعته:

ـ يا الله! لم أنتبه الى مضي الوقت. كان يجب أن تنبهيني حتى أتوقف عن الكلام.

ـ لم أشأ هذا، لأنني كنت أتمتع بما تقوله جداً.

ـ حقاً؟

ـ لم أدرك حتى الآن أن الاعمال قد تكون مثيرة هكذا.. جعلتها تبدو وكأنها قصة مغامرة.

ـ ليست مغامرة فقط، بل قد تصبح أحياناً قصة رعب!

ـ إلا أن لها نهاية سعيدة!

فضحك:

ـ ليس دائماً.

ـ لا أتصورك تضع يدك في شيء دون أن ينجح.

ـ أنا ناجح فقط في العمل، أما حياتي الخاصة فقصة أخرى.

إنها قصة لن يسمعها إياها بكل تأكيد، وهي أذكى من أن تطرح السؤال.. فوقفت لتسوي تنورتها، مدركة أن عينيه الرماديتين تجولان على تضاريس جسدها كله.

كانت هذه الليلة مقدمة لليال عديدة أخرى لكن حرجها بات يتلاشى تدريجياً وأصبحت قادرة على أن تشاركه الحديث بحرية. وقد فاجأها ذات ليلة وهما يتابعان حديثاً شخصياً عن حياة كل منهما باعتراف طالما رغبت في سماعه:

ـ لقد أحببت امرأة مرة، بعمق.. وعندما تركتني أقسمت أن لا أدع نفسي عرضة للأذى مرة ثانية.

ـ وماذا حدث؟ أتزوجت شخصاً آخر؟

ـ أجل.. كنت قد بدأت لتوي بتأسيس شركتي، وكنت متحمساً. لكنها لم تشاركني إيماني بنفسي و... ظهر في حياتها رجل أغنى مني.

ـ أراهن على أنها نادمة الآن.

ـ فعلاً..

عرفت من خلال رده أن كلامه ليس هباء بل له واقع، فأحست بوخزة غيرة:

ـ تتحدث عنها وكأنك رأيتها مؤخراً.

ـ لقد شاهدتها.. تطلقت منذ سنة وأتت تخبرني.

ـ وكيف أحسست عندما رأيتها مجدداً؟

ـ لم أشعر إلا بأنني أقابل شخصاً غريباً.

ـ هل رأيتها ثانية؟

ـ رأيتها كثيراً خلال ثلاثة أشهر، لكنني منذ ستة أشهر ما عدت أراها.

صمتت دون أن تستطيع التفكير في ما تقوله، فقال بمرح:

ـ لِمَ الدهشة أليسا؟ أتوقعتِ مني أن أستفيد مما عرضته عليّ؟

فصاحت به:

ـ لا تقل شيئاً.. لا أستطيع تحملك ساخراً.

ـ يا عزيزتي الشابة، أنا لست ساخراً.. لكنني أعرف أن كل النساء اللواتي القاهن يرمين انفسهن عليّ بسبب ما أستطيع تقديمه لهن. لا أقصد الحب، بل الفرو والالماس.

ـ ربما.. تلك النسوة.. يعرفن أنك غير قادر على منحهن أمراً آخر!

ـ أوه! يا لهذا الكلام الشرير الذي تفوهت به.

ـ آسفة، لكنك تستحقه.

ـ تعنين أنني التقي بالصنف الذي استحقه؟

ـ أجل.

ـ إذن أين هو مكانك المناسب في هذه الصورة؟

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني أنني التقيتك، فهل ترغبين في الفرو والالماس؟

ملأت الدموع عينيها وأحست بألم شديد منعها عن الكلام. فسارع رون يقول:

ـ أنا آسف. لا يحق لي أن أقول ذاك الهراء.. ألا تسامحينني؟

بقيت صامتة مطأطئة الرأس غير قادرة على النظر إليه، فكرر:

ـ حسناً؟ ألن تسامحيني؟

ـ بلى.. لكنني أرجو أن تلتقي يوماً بمن تجعلك تبتلع كلماتك.

ـ ألم يخطر ببالك أنني قابلتها؟

خافت أن تصدق ما تعنيه كلماته، ورفضت حتى التفكير فيها،

فوقفت:

- أنا متعبة رون. أتمانع لو تركتك الآن؟

- بكل تأكيد أمانع أن تتركيني، لكنني لن أمانع لو ذهبت الى الفراش!

تبادلا التحديق عبر الغرفة.. وكانت المبادرة باشاحة بصرها:

- تصبح على خير رون.

- تصبحين على خير عزيزتي. سأراك في الموعد ذاته غداً.

في غرفتها، وبعد التفكير والتقلب في فراشها أقسمت لنفسها:

«لن أفكر أبداً بالمستقبل.. سأعيش كل يوم بيومه»

كررت لنفسها أكثر من مرة.. لماذا يهتم بها؟ ولماذا تفترض أنها تعني له ما يعنيه هو لها؟ لكن ماذا يعنيه لها؟

ومع أنها ترفض اظهار ما يثير تفكيرها، إلا أنها وجدت نفسها في الامسية التالية تنتظر بفارغ الصبر سماع صوت سيارته العائدة.. لو طلب منها أن تسهر معه في المكتبة، فسترفض. فليس من حقه أن يعتقد أنها تحت أمره يستدعيها متى شاء لمجرد إقامة في منزله.

لكن الساعة تجاوزت الثامنة والنصف موعد قدومه، ولم يصل، فأدركت أنه ربما لن يأتي الى «برايت هاوس».. أحست للمرة الأولى بالحزن والانزعاج لأنه لم يتصل بها هاتفياً على الاقل..

دوروثي وجايمس لم يحضرا كذلك للعشاء، فتناولته أليما مع العمة وحدهما. بعد الانتهاء ادعت ألماً في رأسها وذهبت الى الفراش.

- أتودين قرصين من الاسبرين عزيزتي؟

- لا شكراً. سأرتاح بعد النوم. وإذا جاء رون فاعتذري عني.

- لن يحضر الى المنزل قبل يوم الخميس.. اتصل بي بعد الظهر وقال إنه مسافر الى أوروبا.

فابتسمت غصباً عنها، وحاولت المزاح لتخفي خيبتها:

- في هذه الحالة، لا لزوم للاعتذار.

أقفلت باب غرفة الموسيقى وراءها واستندت إليها، تتساءل لماذا أحست بالمرارة عندما كلمتها العمة.. وتنهدت متقدمة الى السلم العريض. وارتقت الدرج على مهل، ثم توقفت في الاعلى تلقي نظرة على جمال الردهة القابعة تحت... أيحق لها التفكير في أنها ستصبح جزءاً من هذا كله؟

وضعت وجهها بين يديها، لكن وجه رون برز بينهما.. يا لغبائها! كيف اعتقدت أن الامسيات التي قضياها معاً تعني له شيئاً. فها سفره الذي لم يسبقه اتصال يظهر بوضوح أن تفكيرها طفولي كأحلامها وأمانيها.

الاماني؟... رفعت رأسها من بين يديها فعرفت في قرارة نفسها مشاعرها التي بقيت حتى الآن مكبوتة.. إنها تقع تدريجياً في حب رون... لا..! هذا ليس صحيحاً.. إنها بالفعل تحبه. وهمست لنفسها لا، لا أحبه، بل أتوهم ذلك ربما بسبب إقامتي عنده، كل شيء يذكرني به.. وعندما أعود الى شقتي لأعيش حياتي سيصبح كل هذا حلماً.

حتى وهي تقول هذا علمت بأنها إن لم تغادر برايت هاوس بسرعة، فسيصبح ما تبقى من حياتها كابوساً.

* * *

فراشة المحبة

٦ ـ الهبوط من الجنة

رغم اتخاذها قراراً بمغادرة «برايت هاوس» حالاً إلا أنها تراجعت إذ لا يمكن أن ترحل دون أن تخبر رون أولاً. وهذا أقل ما يجب أن تفعله، بعد أن أخذ نصيحتها بشأن جايمس.. جرها التفكير في جايمس الى التفكير في دوروثي.. هل سيعتبر رون رحيلها فراراً لأنها تخشى أن تكون على خطأ بشأن رأيها بالرسام؟ وتنهدت.. لن تأبه مهما سيكون عليه رأيه، فلن ترضى بالبقاء لحظة أخرى في هذا المنزل.

مساء الخميس كانت أليسا في غرفتها عندما سمعت هدير سيارته فأحست بارتجاف عنيف دفعها الى الجلوس عند حافة السرير. ولأنها افترضت أنها المرة الأخيرة التي ستراه فيها، بذلت جهداً لتبدو في أروع حال وأبهى حلة.. عندما اطمأنت الى أنها لن تكون أجمل مما هي عليه الآن، خرجت من غرفتها.

كان رون يجلس في غرفة الموسيقى، مديراً ظهره للباب، يتحدث الى جايمس ودوروثي. لكن، عندما شهقت أخته تعجباً التفت ليحدق في أليسا... وارتجف الكأس قليلاً في يده، ثم تقدم نحوها

صوته، الذي تعرفه دائماً قاطعاً وهادئاً وصارماً، أصبح متهدجاً وهو يقول لها:

ـ ماذا فعلتِ بنفسك؟

ـ غيرت تسريحة شعري، وارتديت فستاناً ضيقاً، لا غير.

استقرت عيناه على صدرها، ثم تحركتا الى خصرها:

ـ أنت أفضل إعلان عن البساطة!

فضحكت، وتلاشي توترها بسبب وجوده:

ـ أنت لا تعجز أبداً عن الرد.

ـ أحياناً أعجز.. خاصة معك.

ـ معي؟

ـ أجل.

وقبل أن ترد، قاطعها جايمس:

ـ والآن... لا تحتكرها لنفسك، دعني أبدي إعجابي أيضاً. تبدين رائعة لأرسمك. لو كنت أرسم الأشخاص، لرسمتك على الفور.

فصاحت دوروثي:

ـ ولمَ لا تفعل؟ لماذا لا ترسم الناس جايمس؟

ـ أفضل الموت على هذا!

دوى رده الفظ في الغرفة كفرقعة السوط. فبدت دوروثي وكأنها أصيبت بهذه الضربة، أما رون فتوتر جسده وجاهد للحفاظ على هدوئه. ولم يبقَ أمام أليسا إلا أن تعيد الجو الى طبيعته.

ـ حقاً عزيزتي دوروثي، أنت تعلمين أنه رسام تجريدي.. إن طلبت منه أن يرسم الناس كنت كمن يطلب من رون أن يفتح محلاً لبيع الالبسة الجاهزة.

تلاشت النظرة المتوترة عن وجه دوروثي وضحكت. نظر جايمس الى أليسا التي صوبت إليه نظرة جعلته يخجل ويتقدم نحو دوروثي:

ـ سامحيني.. لقد أصابت أليسا الهدف.. لكن لا تغضبي.

ـ لا بأس يا حبيبي.

بقيت أليسا تحس بنظرة رون المثبتة عليها، فجلست، لأن هذه هي الطريقة الوحيدة لايقاف ارتجافها.

بعد العشاء، قدّمت القهوة كالعادة في غرفة الموسيقى، لكن رون اعتذر مدعياً الانشغال ببعض الاعمال وانسحب الى المكتبة. فشبكت أليسا يديها، يجب أن تخبره عن رحيلها، إنما لن تستطيع هذا أمام الجميع، خاصة وإن جايمس ينظر إليها متفرساً والسخرية في عينيه. هل عرف يا ترى بأمر حبها لرون؟ ألهذا السبب ينظر إليها هذه النظرات؟ وازدادت حرارة شوقها الى الغد الذي فيه ستتمكن من ترك عائلة آردين. نادته باسمه قلقة:

ـ رون!

فوقف عند الباب لينظر إليها:

ـ نعم!

ـ أريد أن أحدثك.

ـ بكل سرور.. ادخلي لنحتسي القهوة بعد ساعة.

كانت ساعة بعيدة في المنزل تعلن التاسعة والنصف عندما طرقت أليسا باب المكتبة.. ودخلت فرفع نظره عن الاوراق المنتشرة على طاولته، وقفز واقفاً:

ـ آسف أليسا، لم أسمعك تدخلين.

فتوجهت نحو المدفأة.

ـ لا تدعني أزعجك إذا كنت لم تنهِ عملك بعد.

ـ لكنني لن أستطيع أن أكمل أكثر.

صفّ الاوراق فوق بعضها بعضاً ثم دنا منها منضماً إليها. فلاحظت رغم انطباعها عن نحافته أنه يملك عضلات قوية وأن لا علاقة لعرض منكبيه ببراعة خيّاطه. فارتدت عنه قليلاً، تمد يديها الى النار وكأنها بحاجة للدفء. غريب كم تشعر بالحاجة الى أن تراه دون سترة.. وسألته:

ـ أنت واثق من أنني لم أقاطعك؟ ليس من عادتك ترك أوراقك منثورة هكذا.

ـ الليلة ليست ليلة عادية. فثمة شيء ما في الجو. ربما سببه أنت.. تبدين مختلفة... جميلة جداً. حتى أن العمل ما عاد له أهمية لدي.

مع أن الاطراء غير المتوقع زاد من توترها، إلا إنها لم تستطع سوى الابتسام.

ـ مزاجك هذا لن يدوم طويلاً!

ـ لكن الامزجة لا تدوم. ويجب كذلك ألا تحكيها بل أن تتمتعي بها فقط.. ماذا تودين أن تشربي؟ شراب الكرز.. إذن أن هذا مناسب.

فبللت شفتيها بلسانها، وهي ترى إنها لحظة مناسبة لتخبره برحيلها:

ـ غريب كيف تشرب هذا النوع من الشراب الآن؟

شيء ما في لهجتها أعلمه أنها لا تتحدث للحديث فقط. فابتعد عن الخزانة الصغيرة حيث كان يفتح زجاجة شراب الكرز:

ـ ماذا تعنين بهذا؟

ـ أعني أنك لم تهتم بضيافتي إلا عندما زرتني في شقتي حاملاً معك هدية ودعوتني الى منزلك.. وبما أنني الآن راحلة.. فيبدو...

ـ راحلة؟ ماذا تعنين... راحلة؟

ـ سأعود الى بيتي. أقمت هنا مدة طويلة.

استدار ثانية الى الخزانة، وصدر صوته مخنوقاً قليلاً:

ـ هل ضجرت أليسا؟

ـ بالطبع لا. لقد أحببت الاقامة، لكن لا يمكنني قبول ضيافتك أكثر من هذا. طلبت مني مصادقة دوروثي أثناء غيابك وها أنت الآن

هنا..

ـ لكنني لم أطلب منك الرحيل، وهذا بالتأكيد يعني أنني أريد أن تبقي!

ـ لِمَ؟ لا أدري. لقد قمت بواجبي. سأكون طفيلية إن بقيت مدة أطول مستغلة ضيافتك، ثم هناك منزلي ورزقي الذي يجب أن أسعى إليه.

ـ كلام سخيف. لقد أنقذت حياة دوروثي وهذا يجعلني مديناً لك أنا مستعد لدفع المبلغ الذي تريدينه..

فردت بحدة تقاطعه:

ـ لا..! ألا تفهم أنني لن أقبل شيئاً منك؟

ـ ولِمَ لا؟

ـ لأنني سأشعر بأنك تحسن إليّ وأنا أرفض الاحسان. أرجوك لا تقل إنني انقذت دوروثي.

ـ لا تعجبني كلمة «احسان». لو احتجت فسأقدمه لك دون أن يكون لذلك علاقة بالاحسان. أنا أملك الكثير أليسا، لذا، على الاقل دعيني أنعم بسعادة رعايتك.

ـ لا يا رون، لا تظنني جاحدة.. الله يعلم كم أقدّر لك عرضك.. لكنني لن أقبله. ربما المال الذي ستعطيني إياه لا يعني لك شيئاً، لكنه سيشعرني إذا قبلته بأنني مدينة لك مدى الحياة.

ورفعت يدها حين حاول مقاطعتها وأكملت:

ـ لا.. ما من فائدة لانكار هذا. فأنا أعرف بما سأشعر وأعرف أنني لن أتغير.

دنا منها ليضع كأسين من الشراب على طاولة قرب النار، قدّم أحدهما لها ثم رفع كأسه.

ـ نخب ماذا ستشرب؟ نخب خلاصك من الاسر؟

فردت بسرعة:

ـ لا تقل هذا! فلنشرب نخب أجمل عطلة قضيتها.

ارتشفا الشراب بصمت، ثم وضع كأسه على حافة المدفأة، وأدار ظهره إليها:

ـ إذن تنوين الآن الرحيل، والعودة للعمل موظفة عندي؟

ـ أجل.

ـ ألن تجدي حرجاً عندما نلتقي مستقبلاً؟ هل ستناديني سيد آردين، أم ستستمرين بمناداتي رون؟

رغم صوته المتجهم علمت أنه يمزح، فأجبرت نفسها على الضحك.

ـ سأفعل ما تريد.

فاستدار لينظر إليها:

ـ أتعنين هذا؟

هزت رأسها، وهي تشعر بقربه منها، حتى وجدت صعوبة في الكلام. فقال ببطء:

ـ في هذه الحالة... ستبقين هنا الى الابد.

نظرت إليه بارتباك. لكن لمّا تلاقت عيونهما، دنا منها وأمسك كتفيها بخشونة... وقال بصوت متهدج:

ـ ماذا تفعلين بي..؟ كيف تجرؤين على الدخول عليّ لتقولي بكل بساطة إنك راحلة؟

حاولت الابتعاد عنه لكن أصابعه شدت عليها لتؤلمها:

ـ ولماذا لا أقول لك؟.. اتركني! أنت تؤلمني.

ـ أنا لا أؤلمك كما تؤلمينني أنت.

ودفعها عنه بخشونة عنيفة:

ـ هيا.. اخرجي من هنا! ارحلي! أنت كسائر النساء.. تستخدمين جمالك لتدمري قوة الرجل.

نظرت إليه برعب:

ـ عم تتكلم؟ أنا لا أريد تدميرك... بل أريد الهرب قبل أن تدمرني أنت.

ـ وماذا يعني كلامك هذا؟

ـ لا شيء.

خشيت أن تكون قد فضحت نفسها أمامه، فالتقطت كأسها، لكنه ارتجف في يدها حتى سال منه بعض القطرات على يدها فأعادت الكأس الى مكانه، وقالت:

ـ لقد وترت أعصابي، ما عدت قادرة حتى على انهاء شرابي.

ـ لابأس... سأرسل لك صندوق زجاجات منه، أم أن هذا يقع في خانة الاحسان كذلك؟

ـ أرجوك رون.. لا تكن ظالماً.

ـ أنت من تظلمينني!

ـ كيف؟

ـ بتركك إياي.

وتقدم نحوها ثانية، والعذاب في وجهه.

ـ هل يجب أن أشرح لك كل شيء بالكلمات؟ ألا تقول لك غريزتك شيئاً؟

فتنفست عميقاً:

ـ أخاف أن أثق بها. أحياناً قد ترغب في شيء الى درجة تجعلك تعتقد أنه غير حقيقي.

ـ ثقي بغريزتك هذه المرة.

وأمسك بذراعها:

ـ مسكينة أليسا! إن ثقتك بنفسك لهشة. ألا تعرفين ماذا تعنين لي؟ ألا تعرفين أنني أحتاجك ولن أستطيع تركك ترحلين عني؟ أحبك أليسا.. وأريدك أن تبقي معي!

احتوتها السعادة وكأنها موجة تكتسح شاطىء البحر.. إنه يهتم

بها.. يهتم بها بعمق، ولا يريدها أن ترحل. إن هذا أكثر ما يمكن أن تطلبه، تنهدت جذلى ثم القت رأسها على كتفه.. فأخذ يمسح شعرها بيده، الى أن استقرت على مؤخرة عنقها، فاقشعر جسدها للمسته.

همست له:

ـ لم أكن أفكر قط في أنك ستقول أحتاجك!

ـ وكم أحب أن أسمعك تقولينها.

ـ أحتاجك ما بقيت حية.

عقدت ذراعيها حول عنقه بجرأة لم تكن تدري إنها تمتلكها.. سرعان ما أصبح هو السيد... وتلاشى كل شك لديها بشأن مشاعره تجاهها، وذلك عندما ارتجف جسده على جسدها وهما في عناق عاصف.

شهق قائلاً:

ـ أريدك... أريدك كثيراً.

مرر يديه على رقبتها وكتفيها.. فشهقت بدورها:

ـ لا!

فتوقفت يداه.

ـ آسف حبيبتي، لم أشأ اخافتك.

ـ لم أخف منك حبيبي.. بل خفت من نفسي.

ـ أوه.. أليسا! أنت المرأة الوحيدة التي يمكن أن تعترف صادقة بمثل هذا.

ـ ولماذا لا أعترف؟ لا أخجل من حبك!

ـ تخافين فقط؟

ـ قليلاً.. يجب أن تعطيني وقتاً حتى اعتاد على الفكرة.

ـ لن استعجلك حبيبتي. لقد انتظرتك كثيراً، وأنا مستعد الآن على الانتظار أكثر. يا إلهي لا أصدق أنك لي، تقريباً.

احمر وجهها عندما استخدم كلمة «تقريباً» فضحك:

ـ ما أسهل جعلك تحمرين يا أليسا.. أحب أن أفعل بك هذا.

ـ هذا ليس عدلاً، فأنا لا أستطيع فعل الشيء عينه معك.

ـ لكنني أشعر معك بأمر غريب أليسا، أشعر بأنني لا أستطيع السيطرة على نفسي.

ـ ألم تشعر بهذا الشعور مع النساء الاخريات؟

ـ لم يكن لاحداهن أهمية.

ـ ولا لساندرا.

فابتسم:

ـ حتى ساندرا، فالرغبة تتملك الانسان جسدياً، ولا تتملكه عاطفياً. ثم إياك أن تغاري من الماضي.

ـ آسفة.. أغار كثيراً، ولا أستطيع التفكير في أنك عانقت امرأة أخرى لأنني أحبك، أحبك كثيراً!

لم يعد يهمها شيء إلا ذلك التوق النسائي البدائي بوهبه ما يريده. تردد رون لحظات، ثم تأوه وجمعها بين ذراعيه ثانية، فعلمت في تلك اللحظة ماذا يعني بأنه يريدها.. وتلاشى الواقع أمامها، وغلفتها ظلمة حارة متهورة، ورغبة حادة أحست معها بأن لا شيء قد يشبعها. ثم راحت انفاسها تتصاعد شهيقاً، وسمعت رنيناً في أذنيها، تصاعد شيئاً فشيئاً الى أن أعادها الى الواقع. فقالت مرتجفة:

ـ إنه الهاتف.. الهاتف يرن!

فنظر إليها رون دون أن يفهم، فكررت:

ـ الهاتف.

وقف باذلاً جهداً هو أيضاً ودنا من الطاولة ليلتقط السماعة. تقدمت منه، فلف ذراعه حولها والصقها به.. بقيا هكذا لحظات ثم وضع السماعة من يده على الطاولة وقال لها:

ـ إنها مكالمة من باريس، وأخشى أنني مضطر للبقاء على الهاتف

ساعة على الاقل. كنت أتوقعها منذ الامس.

ـ مكالمة مدة ساعة.. من باريس؟

ـ إنها وسيلة أرخص من السفر الى هناك! تبدين مرهقة حبيبتي الافضل أن تذهبي للنوم.

خرجت الى الردهة وهي ما تزال تحس بالدوار، استندت الى باب المكتبة بعد اقفاله.

ـ أنت بخير؟

فاجأها صوت جايمس الخارج من غرفة الجلوس.

ـ أنا بخير... سأذهب الى النوم.

ـ كأنك على وشك الاغماء. تعالي وانضمي إليّ والى دوروثي لتناول شراب ساخن قبل النوم.

ـ لا شكراً لك.

كرهت أن تزيل سحر اللحظات التي مرت بها، لذلك حاولت تجاوزه للذهاب الى غرفتها، لكنه سد عليها الطريق:

ـ أتعلمين، لست كمن يوشك على الاغماء.. بل كمن هبط لتوه من الجنة... ماذا حدث؟

ـ لا شيء.

ـ هيا يا فتاتي الصغيرة، بوحي بسرك! كان رون يغازلك.. أليس كذلك؟

كدرتها فظاظة ملاحظته.

ـ أيجب أن تكون فظاً؟

ـ كيف؟ لِمَ التوتر أليسا، لا داعي الى الحرج لأن «سيادته» عانقك.

فردت بحدة:

ـ إنه يحبني.

ـ هذا لا يدهشني، فأنت جميلة جداً، ورون معتاد على الفوز

بالافضل.

ـ أيجب أن تفسر الامور على هذا النحو؟

ـ آسف.. لكنني لا أريد أن تخدعي نفسك!

ـ ألا تظن أن عليك ألا تحشر أنفك في شؤون الآخرين؟

ـ أنت شأني الآن. ولن أدع رون يخدعك. أنت فتاة لطيفة لا يجب أن تصبحي رقماً جديداً بين عشيقاته.

فارتفع صوتها:

ـ عشيقاته؟ كيف تجرؤ على هذا القول؟

ـ هل أنا مخطىء؟ أنا آسف أليسا.. لم أعرف أنه طلبك للزواج.

ارتجفت الكلمات على شفتيها، لكنها لم تنطق بها، فكلماته جعلتها تدرك أنها أخذت الامور مسلماً بها. إنه لغريب ألا تلاحظ حتى الآن أن كلمة زواج لم تخرج من فمه. نعم هو لفظ كلمات: الحب، العاطفة، والرغبة.. لكن الكلمة الوحيدة الناقصة هي الكلمة التي قد تعطيها الثقة لتجيب جايمس..

تأوهت متألمة ثم تجاوزت جايمس، راكضة باتجاه غرفتها، متمنية لو ترجع عقارب الساعة الى الوراء.. يا لغبائها، يا لحماقتها!

* * *

فراشة المحبة

٧ ـ طال الانتظار

نظرت أليسا الى المرآة في الصباح التالي، فأحست بالذعر من الدوائر السوداء التي أحاطت عينيها.. ثم نظرت الى ما حولها من أبهة.. فتذكرت شقتها المتواضعة.. لقد طلب منها رون البقاء. لكن لماذا؟ أليدخلها الى عش الخليلات؟ كبحت دموعها.. فقد بكت ما يكفي ليلة أمس.. وعليها الآن أن تنزل لتخبر دوروثي عن رحيلها.

كانت تقطع الردهة، عندما انفتح باب المكتبة وخرج رون، فشهقت، مرتدة الى الوراء. لكنه كان قد شاهدها، فقال:

ـ أتستغربين وجودي حتى الآن؟ لم أستطع الذهاب قبل أن أقول لك «صباح الخير»، فلن أفكر جلياً حتى أؤكد لنفسي أن ما حدث ليلة أمس لم يكن حلماً.

أرادت أن تهرب لكنه أمسك بيدها وجرها الى المكتبة. ما أن دخلت حتى سارعت تقول:

ـ أنا مسرورة لأنك مازلت موجوداً. رون.. لن ينجح الامر بيننا.. الامر كله غلطة.

اصفّر وجهه، ووجد صعوبة في الكلام، لكن قدرته على السيطرة على ذاته، عادت سريعاً:

ـ أتحاولين القول لي إن ليلة أمس لم تعن لك شيئاً؟

ـ لا يا رون.. لم أكن أدعي. فأنا أحبكَ... ولو كان حبي أقل بقليل لقبلت.. ما... عرضت عليّ. أعرف أن العديد من النساء يقبلن.. لكنني لن أستطيع. ولو خُيّرت بين أن أكون عشيقة مليونير،

أو زوجة رجل مفلس، لاخترت الزواج.

ـ أليسا..

فقاطعته بقوة:

ـ لا! لا تقنعني بوجهة نظرك، فأنا لا أريد الماسك أو ثراءك بل أريد اسمك وأولادك.

أعمتها الدموع، فأسرعت تبحث عن أكرة الباب لكن قبل أن تصل إليها، وجدت ذراعه تعيدها إليه:

ـ لا أريدك عشيقة. فالحياة التي عشتها قبلك لا تعني لي شيئاً. لم يكن لشيء قمت به قبل أن ألقاك معنى. الجزء الوحيد ذو القيمة في حياتي، هو الجزء الذي ملأته أنت، وإذا تخليت عني، فستبقى حياتي كلها فارغة الى الابد.

استدار ليواجهها وأخذ وجهها بين يديه.

ـ أحبك أليسا، وأريد أن أهديك الغراء والالماس، كما أريد أن أعطيك اسمي، وأن تلدي أنت أولادي. ألا يمكنك معرفة هذا دون أن أقوله حرفياً؟

لم يعد هناك مكان للشك، وغمرتها السعادة، فهمست:

ـ يا لغبائي! أوه رون... آسفة.. أتسامحني؟

ـ إذا قلت نعم على سؤالك. هل تتزوجينني يا حبيبتي؟

ـ لا شيء قد يمنعني.

وانفجرت بالدموع.

لم يغادر رون المنزل حتى تجاوزت الساعة الحادية عشرة، وذلك إثر اتصال أتاه من سكرتيرته التي ذكرته بموعد اجتماع مجلس الادارة.

في الردهة، وبعد أن لوحت له مودعة، التفت أليسا بدوروثي وهي عائدة من ركوب الخيل. فسألتها:

ـ كنت مع جايمس؟

فهزت رأسها:

ـ لا أستطيع أن أجعله يقترب من جواد مع إنه يحب الرسم في ضوء الصباح. ماذا حدث لك؟ تبدين.. كأنك، كأنك مشرقة!

ترددت غير راغبة في أن يشاركها أحد سعادتها، لكن إن لم تخبرها فستألم:

ـ سأتزوج!

اتسعت عينا دوروثي دهشة، ثم لفت ذراعها حول عنق أليسا وراقصتها.

ـ كنت أعرف! كنت أعرف! شكراً لله أن هذا حدث أخيراً!

أجبرتها أليسا على التوقف مقطوعة النفس:

ـ أتعنين أنك عرفت؟ عرفت إنه رون؟

ـ بالطبع عرفت. من الطريقة التي كان يتصرف بها.. الامر واضح.

دفعت خصلة شعر عن وجهها وتابعت:

ـ يا إلهي أليسا.. كان الامر واضحاً لنا، أنا وعمتي تحدثنا كثيراً عن موعد الزفاف.

ـ لو أخبرتني.. لوفرت عليّ الكثير من ألم القلب.

ـ ألم تشكي في الامر؟

ـ لا.. فأنا فتاة عادية و...

ـ لا تكوني مجنونة! أنت جميلة.

ـ ليس الجمال أساساً ليحب الرجل امرأة.

ـ أوه أليسا كم سأسعد بك زوجة لأخي.. متى ستتزوجان؟ أين سيكون شهر العسل؟ هل ستعيشان هنا أم في المدينة؟

وضعت أليسا يديها على أذنيها وصاحت:

ـ رويدك.. رويدك! اسألي أخاك لأنني سأدعه يقوم بكل الترتيبات.

ـ أنت ذكية، ستوفرين عليك بذلك تعباً عظيماً.

رغم احساسها بالاطمئنان على مستقبلها، أرادت أن تتكتم عن إعلان خطوبتها أطول مدة ممكنة، فحالما أن ينتشر الخبر ستتدفق عليهما الصحافة لكن رون أصر على نشر الخبر في أول فرصة.

ـ هذه الامور سرعان ما تتسرب.. وإن تجرأ أي صحافي على الكتابة بشكل سيء عنا فسيجد نفسه في وظيفة أخرى!

أرعبها تهديده. فهي تعرفه رجلاً وزوج مستقبل، لكنها لا تعرفه رجل العمل والصناعة، ذا النفوذ...

رد الفعل الذي حدث نتيجة إعلان متحفظ عن الخطوبة في «النيويورك تايمز» تخطى أي شيء توقعته أليسا، فقد تلقت أكواماً من البرقيات وباقات الزهور من أشخاص لم تسمع بهم إلا عبر وسائل الاعلام. أما المنزل فقد حوصر بالمراسلين والمصورين.

قالت له ذات مساء:

ـ ليتك شخص عادي.. تفكيري في مالك ومركزك يثير خوفي.. مثلاً الخاتم العظيم، أخشى وضعه في يدي!

ـ لا شيء عظيم أمامك. يجب ألا تخجلي بامتلاكك المال. على الاقل امنحيني سعادة رؤيتك في أفخر ملابس عندما نذهب الى نيويورك غداً.

ـ وهل يجب أن نذهب؟ لماذا لا يأتي جاك ليصورني هنا؟

ـ لن يجيد العمل هنا كما سيجيده في الاستديو.. فأنا أريد صورة جيدة لك، لأرسلها الى كافة الصحف والوكالات العالمية.

صغير الاعجاب الذي أطلقه جاك أثناء دخولها الاستديو في اليوم التالي جعلها تسر لأن رون أصر على ارتداء أفخر مالديها اضافة الى معطف الفرو الذي اشتراه لها. إنه على حق، فمن السخف عدم ارتداء أجمل الثياب، إذا كنت تملكها.

خلع جاك عنها معطفها، وأجلسها على مقعد مخملي مرتفع،

وبدأ يسلّط الأنوار عليها، وقال لها:

ـ تغير رون كثيراً منذ الخطوبة، بدا لي أصغر بعشر سنوات بين ليلة وضحاها.

أحست الحب في صوته، وأحست بخوف من أن يقف الزواج بينهما:

ـ هل ستبقى دائماً صديقاً لرون؟

بدا عليه الذهول، فاضطرت للتفسير:

ـ أحياناً يفصل الزواج بين صديقين. وهذا ما لا أريده. أنت الرجل الوحيد الذي يثق به رون.

ـ لا تقلقي، سأكون دائماً موجوداً، مع أنه حرمني من العمل معك.

ـ لا تبدأ بتمثيل دور الحبيب المرفوض. فأنا لم أكن في نظرك أكثر من عارضة، ولم تفكر في أن أكون زوجة.

ـ زوجة عارضة! الآن دعك من تحريك رأسك.

وركز جاك مصباحاً آخر فوقها، ثم بدأ يلتقط الصور وهو يتحدث عن آخر مهمة له سيقوم بها لصالح إحدى المجلات. فقالت:

ـ أنا واثقة بأنك ستنجح.. ليتني أستطيع قول الشيء نفسه عن جايمس.

ـ وكيف أحواله؟

ـ يرسم اللوحات ويكدسها.. لكنه لا يجد معرضاً يعرضها له.. فعمله من نوع جديد.

ـ رون يقول إنه فاشل.. لو أن لوحاته جيدة، لكان رون أول من شجعه. فهو كان يشجع دائماً الفنانين أمثاله.

ـ سمح له باستخدام غرفة في «برايت هاوس» مرسماً له فقد كان يجد صعوبة في الرسم في المنزل الذي يسكن فيه.

ـ هذه فكرتك دون شك!

ـ أجل.. لكنني الآن ندمت.

فنظر إليها جاك بتعجب:

ـ لماذا؟ ما المشكلة؟

ـ لست أدري.. مجرد شعور.

ـ هيا.. اخبري العم جاك.

ـ لا شيء يقال.. لكن.. أستمر في التساؤل عما سيحدث لو كان رأيي به خاطئاً ورأي رون صائباً؟

ـ لا تتساءلي عما سيحدث. سيطرده رون بكل تأكيد.

ـ مع دوروثي أم بدونها؟

ـ اتركي أمر دوروثي لرون. إنه قادر على تدبير أمرها.

ـ لا أوافقك.. لجايمس تأثير كبير عليها.

تذكرت أليسا هذا الحديث بعد بضعة أيام عندما كانت وحدها مع جايمس يرتشفان الشاي، إذ قال لها بعد مقدمات سخيفة:

ـ يجب أن أقول لك، إنني لم أتوقع هذا منك.. لقد تدخلت لحل قضيتي مع دوروثي، ثم استوليت على الجائزة الرئيسية لنفسك.

ـ أتعني هذه الملاحظة أن تكون مضحكة؟

ـ لا تعني شيئاً، فأنا إنما أقرر أمراً واقعاً. من وجهة نظري ما كنت تستطيعين فعل ما هو أفضل من هذا. رون مجنون بحبك.. إنه انضممت الى صفي، سيوافق دون شك على القبول بي زوجاً لها.

ـ لن يقبل.. قلت لك مراراً وتكراراً جايمس.. إنه لن يزوجها قبل بلوغها الحادية والعشرين.

ـ هذا ما يقوله الآن. لكن بعد ثلاثة أشهر ستصبحين زوجته، ثمة طرق كثيرة تستطيع الزوجة من خلالها إقناع زوجها بتغيير رأيه!

لم تستطع منع نظرة احتقار عن وجهها فاحمر وجه جايمس:

ـ لا تنظري إليّ على هذا النحو. أنت امرأة، ولا يمكنك فهم احساس الرجل عندما يرغب أمراً ولا يحصل عليه.. لن أستطيع

انتظار سنة بعد.

ـ ليتني قادرة على مساعدتك، لكنك تعرف مدى عناده.

ـ ومتى ستعود دوروثي؟

ـ في حوالي السادسة.. إنها تشتري بعض الثياب من المدينة.

ـ المزيد من الثياب! ما تصرفه في شهر يسد حاجة مرسمي سنة.

ـ وماذا في هذا.. إنه مالها.

ـ أنت مخطئة.. فهي لا تملك شيئاً، أخبرتني القصة كاملة ليلة أمس.

وقف ليتجول في الغرفة ممعناً النظر في بضع قطع أثرية:

ـ عندما مات أردين الكبير، أورث رون كل شيء. وترك للأخ الكبير أن يقرر حصة دوروثي. لهذا ترين إنها لو تزوجت بموافقة أخيها، فكل شيء سيكون على ما يرام، أما إذا تزوجت دون موافقته، وأراد أن يكون شريراً، فلن تحصل على سنت واحد.

واستدار بحدة نحوها:

ـ ترين الآن أين يتركني هذا. أليس كذلك؟ وأنت تعلمين أنه لن يعطيني الاذن بالزواج منها، لأنه يكرهني ولن يثق بي.

ـ لكن هذا غير صحيح.

ـ بلى.. إنه صحيح.. ولماذا أخدع نفسي؟ أقول لك إنه لن يسمح لي بالزواج منها، وإذا تزوجنا دون موافقته سيرسلنا الى اصلاحية الأحداث!

تذكرت أليسا في تلك اللحظات حديثاً سابقاً لها مع رون قال فيه إنه وان هددها بحرمانها من الميراث إلا أنه لن يتمكن من تركها في عوز... هل يجب أن تذكر هذا لجايمس؟.. قالت بهدوء:

ـ لو لا معرفتي بك، لقلت إنك مهتم بمال دوروثي لا بها فقط. أو عليّ أن أقول، المال الذي كنت تظنه لها؟

ـ انضجي أليسا.. كيف لي الزواج من امرأة دون مال؟ خاصة

امرأة مثل دوروثي.

وضحك بمرارة:

ـ الاقتصاد في نظرها هو القيام برحلة الى فلوريدا بدل فرنسا! تباً! إنها لا تعرف معنى الفقر.

ـ قد تتعلم.

ـ أبداً! إنها فاسدة مدللة. في البدء فكرت لو هربنا وأثبتّ للمحكمة أننا سعيدان، لتمكنت من رفع يد رون عن ميراثها.. لكن الآن.. لم يعد لها أي ميراث!

ـ تتكلم وكأنك لا تستطيع إعالتها. لماذا لا تبحث عن وظيفة؟

ـ أنا رسام، ولن أتخلى عن هذا حتى ولو خسرت دوروثي. فالرسم هو حياتي.

هل تلوم جايمس لأنه يعتبر عمله أهم شيء في حياته. دخلت العمة:

ـ آه.. ها أنت ألبسا. اتصلت سكرتيرة رون قائلة إن بعض اصدقائه سيرافقونه للعشاء.. سيصلون بعد ساعة.

فاستدار جايمس نحو الباب:

ـ من الافضل أن اختفي عن الانظار.

فقالت العمة:

ـ هذا ليس ضرورياً.

ـ ابن أخيك لا يكاد يكون مؤدباً معي بوجود دوروثي، فكيف بغيابها.

وصفّر متحدياً... ثم خرج. تاركاً العمة تحدق فيه آسفة:

ـ يا للولد المسكين. إنه تعس جداً. ليت رون لا يقسو عليه هكذا!

مع مضي الايام، بذلت جهداً لنسيان حديثها مع جايمس، لكنه استقر في زاوية من ذهنها. فكان أن راحت تحس، كلما تفوه بكلمة

بأن لها معنى مزدوجاً، وكان أن وجدت نفسها تراقبه مع دوروثي متسائلة عن صدق عواطفه تجاهها، وعن براعته في التمثيل الذي إن نجح فيه شق لنفسه طريقاً ليس فيه المال مصدر قلق.

قرر رون أن يكون موعد زفافهما في بدء شهر حزيران، شارحاً أنه الشهر الوحيد الذي سيكون حراً فيه.

ـ من المستحيل عليّ أن أقدّم الموعد، فبعد أسابيع سأذهب في جولة عمل تشمل أوروبا كلها.

ـ لماذا لا نتزوج الآن؟ عندها أسافر معك.

ـ ما من مجال لهذا.

فاحمر وجهها خرجاً، وسارع رون الى ضمها:

ـ لا تغضبي حبيبتي. لا أريد أن أؤجل الزواج إلا لأنني وعدت نفسي عندما أتزوج بأن أقضي شهر عسل لائقاً. فإذا سافرت معي الى أوروبا فسأكون مشغولاً جداً حتى للتحدث معك!

ـ شهر العسل ليس مهماً.

ـ لكنه مهم لي.. أريد أن امنحك فرصة لتفهميني جيداً.

ـ لكنني أفهمك.

ـ أشك في ذلك... أتخشين أن أتوقف عن حبك إذا ابتعدت عنك؟

ـ لست خائفة.

في الايام التالية، أدركت ألبسا صدق ما قاله رون.. فمهما عذرته بشأن العمل كانت تجد أنها تكره تأثير عمله على حياتهما. فتمنت لو يتخلى عن مشاكله كلها بعد أن يترك المكتب... وسرعان ما قام رون برحلة مدة أسبوعين، ثم قام بعدها بجولة في أوروبا الشرقية الجديدة.

مرت أيام سفره بطيئة، لم يتخللها إلا دعوة جاك لها للعشاء وكانا قبل العشاء قد ذهبا الى الاوبرا التي كانت تتحدث عن بطلة

تعتقد أن حبيبها غير مخلص لها، فتساءلت وقتذاك عما ستشعر لو فقدت ثقتها برون. الفكرة ملأتها رعباً، حتى كادت تصرخ، ولا بد أن صوتاً خرج منها، لأن جاك نظر إليها وأمسك بيدها قلقاً. فأعادتها لمسته الى واقعها وتبخرت المخاوف.

بعد الاوبرا رافقها الى مطعم فاخر، راحا فيه يتحدثان عن ماضي رون وعن زواج والده بعد وفاة أمه وهو في الرابعة عشرة من عمره، وعن موت والده واضطراره الى ترك الجامعة لادارة الاعمال. وتطرق كذلك الى المساهمين الذين خشوا طيشه وقلة خبرته أول الامر حتى اضطر الى شراء معظم الاسهم لنفسه.

ـ عمل ليل نهار لايقاف الشركة على قدميها، وقد نجح وهذا واضح طبعاً. لكنه في هذه المسيرة ربح الكثير وخسر الكثير.

ـ لم يحدّثني يوماً عن ماضيه هذا.

ـ سيخبرك مع الوقت، إذ يحتاج الرجل الى وقت طويل ليتأكد من أنه وجد المرأة التي يثق بها.

ـ لعلي لم أقاطعكما حبيبي.. لكنني لم أستطع الذهاب دون إلقاء التحية.

رفع جاك رأسه بدهشة، فتبعت أليسا نظرته، فإذا بها أمام امرأة طويلة نحيلة تقف قرب طاولتهما.. لقد عنّ لها بادئاً ذي بدء أنها لم تشاهد قط مثل هذا الجمال.. كانت بشرتها بيضاء كالحليب وشعرها أسود كجناح غراب.

نظرت المرأة الى أليسا بسرعة ثم ثبتت عينيها البنيتين على جاك:

ـ حسناً.. ألن تقدمني؟

فوقف جاك، دون أن يخفي تردده:

ـ أليسا وايتنغ.. هذه ساندرا هومز.

إذن هذه هي المرأة التي أراد رون يوماً أن يتزوجها. قالت المرأة بنبرة واضحة اللفظ:

ـ إذن أنت خطيبة رون! لم أكن متأكدة.

فقال جاك بفظاظة:

ـ إذن أنت عمياء. فصور أليسا نشرت في كل الصحف والمجلات على مدى الشهر الفائت.

ـ لكنني كنت مسافرة. ولم أعرف بأمر خطوبته حتى أخبرني هو نفسه.

والتفتت الى أليسا:

ـ التقيت به في سويسرا منذ أيام.

خفق قلب أليسا.. أكان رون على علم بوجودها هناك؟ لكن لماذا يجتمع بامرأة لم تعد تهمه؟ وسمعت جاك يقول:

ـ لا بد أن رون دهش عندما رآك. فقد سمعنا أنك في بوليفيا مع ملك من ملوك تصدير التبغ!

ـ معلوماتك قديمة العهد حبيبي. حتى أريح ضميرك أقول إن لقائي برون كان صدفة. يجب أن تتناولا العشاء معي يوماً.. هل لي أن اتصل بك بعد يوم أو يومين؟

فأجابتها أليسا:

ـ سأعود الى «برايت هاوس» في الغد.

ـ أتعيشين هناك؟

ـ أجل.

فضحكت المرأة بخبث:

ـ رون لم يتغير أقلّ تغيير. لم يتعلم قط الصبر على أكل كعكته! مع ذلك أنا واثقة بأننا سنلتقي ثانية.

ولوحت المرأة بيدها مودعة. وجلس جاك.

أهذا ما يفكر فيه الناس بشأن إقامتها في «برايت هاوس»؟ ملأت دموع الاحباط عينيها، فرفت عينيها لتمنعها من النزول. فقال جاك:

ـ لا تدعي تلك الشريرة تقلقك. إنها غاضبة لأنها خسرت رون.

- إنها وقحة مهينة.
- إياك أن تنزعجي منها، فما قولها إلا دليل على مرارتها!
فتنهدت:
- إنني لسخيفة حقاً.
- لست سخيفة، لكن قديمة الطراز!
- وغيورة أيضاً.
- رون دون شك لم يدّع الرهبنة.
- بالطبع لا.. لكنني كنت أفكر في امرأة مجهولة، أما الآن بعد أن قابلتها..
- يجب أن تخف غيرتك. أتظنين أن رون ينظر إليها وأنت لديه؟
- إنها جميلة جداً.
- لو كان يبحث عن الجمال لتزوج مئات المرات. ألا تعلمين سبب اختياره لك؟ لقد اختارك لأن لك قلباً يشع من عينيك.
فاحمر وجهها:
- هذا ألطف قول سمعته قط.
- سأغدق عليك الكثير منه لو اتيحت لي الفرصة. إن رون لمحظوظ حقاً.
عرفت إنه يعني ما يقول. وأحست بحرارة صدقه، فتلاشى عنها كل تكدر سببه التفكير بساندرا.
لكن بعد مرور الاسبوع الثالث على غياب رون. عادت إليها مخاوفها.. إنه يحبها الآن، لكن بم سيشعر بعد زوال جذوة حبهما؟ هل سيكتفي بعلاقتهما أم سيسعى الى علاقة أخرى؟
لكن العقل والمنطق قالا إنها سخيفة... فعلمت أن مخاوفها ستتلاشى عندما يضمها بين ذراعيه ثانية.. ليتها زوجته الآن! لكن ما يزال أمامها شهران من الانتظار.. شهران وكأنهما عمر كامل وأحست بخوف من شيء يمنع ذلك الزواج.

فراشة المحبة

٨ - لا حدود للغيرة

كان يوم الجمعة العظيمة يوماً مميزاً لأليسا، لأنها فيه عرفت موعد وصول رون عبر سكرتيرته، كما عرفت كذلك أن إحدى شركات إعداد الحفلات ستصل الى «برايت هاوس» لتحضير حفلة الفصح.
شهقت أليسا:
- الاثنين؟ لكن أمامنا عمل عظيم.. كم من الاشخاص سيكون في الحفلة؟
- أربعماية على أقل تقدير. السيد آردين ينوي فتح قاعة الرقص الكبرى ولا أعتقد أنك ستعترضين.
مع أن رون لم يطلب من أليسا استقباله في المطار، إلا أنها قررت الذهاب برفقة العمة التي أقنعتها بالمجيء معها. ترقبت وهي تشعر بالاثارة هبوط الطائرة. مضت ساعات أحست خلالها بأنها دهر. عندما حطت الطائرة أخيراً، راحت تنظر الى الركاب المترجلين منها، لكنها لم تشاهده بينهم إلا أخيراً. ضحكت جذلى وسارعت تنزل السلالم لتنتظره في قاعة الوصول. شاهدته يسير باتجاه الباب... لكنه كان شاحباً متجهماً. أحست بأنها تنظر الى غريب لا تعرفه.. فرطبت شفتيها وشقت طريقها نحوه، منادية:
- رون! رون!

ـ أليسا.. لم أتوقع وجودك هنا.

عندما رفعت ذراعيها لتعانقه، ارتدّ عنها، فتبخر كل فرحها.

ـ هل.. هل كانت الرحلة مريحة؟

ـ رائعة.

وسمعا صوتاً أجش يقول:

ـ ما رأيك بتقبيل خطيبتك؟

التفتت أليسا فوجدت رجلاً أحمر الوجه يلوّح بكاميرته لهما فرد عليه رون:

ـ ليس في هذه المناسبة.

ـ كن رياضياً سيد آردين. يمكننا الاستفادة من الصورة لتزيين غلاف المجلة.

ـ لا أشك في هذا. لكنني وخطيبتي شخصان عاديان، ولسنا نجمين سينمائيين لنصلح موضوعاً لقرائكم.

أمسك أليسا من مرفقها بحزم، ثم قادها بسرعة الى الخارج نحو السيارة المنتظرة دون أن يحدّثها حتى انطلقت بهما سيارة الكاديلاك:

ـ يوماً ما سأفقد أعصابي وأحطم الكاميرا لأحد المصورين.

ـ إنهم يقومون بعملهم فقط.

ـ يصعب عليّ تذكر هذا أمام تطفلهم على حياة المرء الخاصة. ليس لديك فكرة كم كان شوقي الى تقبيلك عظيماً. عندما شاهدتك تركضين إليّ، أردت أن أعانقك وأضمك بقوة، لكنني شاهدت ذلك القدر يحوم حولنا فابتعدت حتى لا تصبح صورتنا على الصفحات الأولى في كل الصحف صباح الغد.

فعادت سعادة أليسا إليها:

ـ ألهذا السبب لم تقبلني؟

ـ أخلتني توقفت عن حبك؟

ـ لست أدري.

ـ ربما هذا سبريح بالك.

واحتواها بين ذراعيه، يقول لها بالفعل لا بالقول إن فراقهما كان صعباً عليه... بينما كانت تضحك جذبت نفسها لتملس شعرها وقالت:

ـ أنت مثملك.

ـ وأنت رجعية التفكير.

ـ أتمانع؟

ـ لا.

ـ إذن هذا يجعلني أؤمن أنك لا تحبني فقط من أجل.. من أجل...

واحمر وجهها، فأردف عنها ضاحكاً:

ـ من أجل جسدك؟ حبيبتي أليسا! أكون كاذباً لو قلت لك لا. لكن الجانب الجسدي من زواجنا هو جزء من حياتنا الحميمة.. والمودة الحقيقية تأتي من اتصال العقول والأرواح، لا من اتصال الاجساد وحدها. وأنت المرأة الوحيدة التي جعلتني أحس بأنها كاملة.

بعد ظهر اليوم التالي، حين كانا يتنزهان في الاملاك أخبرته عن لقائها بساندرا. فقال بعد أن أشعل سيكاره:

ـ لن أسألك عن رأيك فيها، فهي لم تعجب نساء كثيرات.

ـ أفهم السبب، فهي امرأة لكل الرجال.. امرأة لا تثق بها النساء لأنهن يخشين على أزواجهن.

ـ أليسا الجميلة! لك مظهر ملاك ولسان حاد كالفولاذ. أنت تعيدين أي انسان الى حجمه الطبيعي أفضل من أي شخص آخر.

ـ أنت مخطىء لو ظننت أنني أحاول الحكم عليك. فالتعبير على وجهي هو تعبير خوف، لا منك بل من نفسي.

ـ ممّ تخافين؟

ـ أن أخذلك.
ـ لن يحدث أبداً، لأنك كل ما أصبو إليه في هذه الحياة.
ـ وأنت أيضاً أملي في هذه الدنيا. أوتظن أن مالك هو الشيء الوحيد الذي ترغب فيه المرأة؟
ـ يا حبيبتي، أعد الايام حتى تتزوج.
ـ ألا يمكن أن تتزوج بترخيص خاص؟ أستطيع عندها السفر معك.
ـ لن اضطر للسفر ثانية.
ـ هذا رائع. متى عرفت هذا؟
ـ عند الصباح.
ـ إذن لا سبب للانتظار حتى حزيران.
ـ لن نستطيع الزواج قبل هذا التاريخ. فهناك دوروثي.
ـ وما شأنها في هذا؟
ـ إنني أجبرها على الانتظار في سبيل سعادتها.. وأحست بأن عليّ الانتظار كذلك.
ـ لماذا حددت حزيران موعداً لزواجها؟
ـ لأكون حتى ذلك الوقت قد اتخذت رأياً بجايمس.

تلاشى كل غضب من نفس أليسا، لم تلاحظ حتى الآن مدى شعوره بعقدة الذنب لأنه يحرم الفتاة من سعادتها.

مرت نهاية الاسبوع دون أن تتزعج العائلة من وجود منظمي حفلة الفصح... لكن نفس أليسا أفعمت إثارة، فهي ستقابل العديد من أصدقاء رون للمرة الأولى، وهذا يعني أنها ستمر باختبار. ترددت كثيراً في افشاء مخاوفها لأي انسان، خاصة لرون. ولما اقتربت أمسية الاحتفال تحولت إثارتها الى توتر جعلها تجد صعوبة في مغادرة غرفتها لتذهب الى حيث تعالى صوت من غرفة الموسيقى، وهدير محركات السيارات التي كانت تصل الى باب المنزل. فلم تجد

الشجاعة لتواجه عيون الغرباء الفضولية.

ـ أليسا، هل أنت مستعدة.

جعلها صوت رون الآتي من خلف الباب تتسمر.. لكنه صاح ثانية:

ـ أليسا! هل أنت هنا؟

فتقدمت تفتح الباب على كره، فوقفت ونور الغرفة يعطيها لوناً ورديا رائعاً، ويزيد من ابراز حنايا جسدها.. نظر إليها رون طويلاً بصمت قبل أن ينحني مقبلا:

ـ ما أجملك!

فتدفقت دموع السعادة من عينيها:

ـ أليسا.. أنت تبكين؟ ما الامر؟

ـ لا شيء.. أنا متوترة.

ـ لكنك لا تتوترين عادة. هل كدرك شيء؟

ـ لا شيء.. سأنزل بعد لحظات.

ـ ضيوفنا يتوافدون.. انزلي حالاً.

لكن خوفها جعلها تترنح، فأسندت نفسها الى الباب، فصاح:

ـ أنت مريضة! حبيبتي ماذا بك؟ هل استدعي لك طبيباً..؟ أتودين الاستلقاء؟

فضحكت:

ـ وأفسد لك الحفلة.

ـ ملعونة هي الحفلة! أنت أهم من ألف ضيف... أحبك كثيراً، ولا أطيق رؤيتك مريضة.

ضمها إليه بحنان، فلما أحست بنبضات قلبه على خدها، ارتدت إليها ثقتها بنفسها، فدفعت عنها موجات الخوف.

نزلا معاً الدرج الى حيث اختلطا بالضيوف الذين ملأوا الردهة وقاعة الرقص الكبرى.

بقي رون خلال الساعة الأولى قربها، فنسيت عندها أنها محط الانظار.. وازدادت ثقة بالنفس مما سهل عليها الحديث فراحت تتمتع بلقاء الاشخاص الذين وفدوا من أماكن نائية ليتعرفوا إليها... كانت الموسيقى تصدح والمدعوون يرقصون عندما وصل حشد جديد من الضيوف، لكن المرأة الشابة التي كانت بينهم أصبحت محط أنظار أليسا... فقد كانت ساندرا هومز!.. يا للوقاحة! كيف سمحت لنفسها بالمجيء؟ وكانت دوروثي أيضاً قد صاحت صيحة ازدراء:

ـ كان لدي انطباع أنها ستظهر.

فقالت أليسا بحدة:

ـ ليتك حذرتني.. فأنا أحب أن أكون على معرفة بموعد مقابلة أي منافس لي.

ـ إنها لا تنافسك. لكنها لا تفهم متى تخسر المعركة!

سمعنا رون يقول:

ـ عمَّ تتحدثان بهذا الشكل الحميم أيتها الفتيات؟

فقالت دوروثي:

ـ ساندرا هنا!

فنظر الى أليسا:

ـ أهذا تبدين وكأنك قطة مذعورة؟ يا حبيبتي لا تكوني ساذجة.

ـ أمن السذاجة إظهار مقتي لأن صديقتك السابقة أتتنا زائرة؟

دون أن يرد جذبها الى حلبة الرقص:

ـ نعم، أنا لا أنكر أن من الخبث مجيئها.. لكن هذا ليس بالامر المهم. إياك وازعاج نفسك لهذا السبب.

ـ اعتقدت أن وجودها سيحرجك.

ـ لست رجلاً يحرجه موقف كهذا.

ـ هذا تكبر رجولي.

ـ آسف حبيبتي ولكنها الحقيقة!

وتابع مراقصتها حول الحلبة حتى وصل بها الى الشرفة، ولم يتوقف إلا في مكان بعيد عن العيون.

ـ ألا تعرفين متى أمزح؟

ـ عادة، ولكن وجود ساندرا جعلني أعجز عن التفكير السوي.

ـ من السخف أن تغاري، فعلاقتي بها انتهت منذ زمن بعيد. وأنت الآن خطيبتي، وستصبحين زوجتي.

ـ ألأنني سأصبح زوجتك، يعني أنني لن أغار؟

وسمعت الموسيقى تصدح من جديد، فقالت له:

ـ لو تعذرني، وعدت جايمس بهذه الرقصة.

تركته دون أن تترك له المجال لايقافها، والتقت بجايمس الذي قال لها وهو يراقصها:

ـ أبقيت أذناي مفتوحتين، ولم أسمع إلا الاطراء لك. وأعتقد أن من المهم لشخصين مثلنا معرفة آراء الناس فينا.

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني أننا فقيران.. لذا يعتقد الناس أنني أحب دوروثي لمالها، وأنك تحبين رون لماله.. وهذا ما يضعنا معاً في التصنيف ذاته.

أشاحت بوجهها عنه لئلا تظهر له تأثير كلامه عليها، فالتقطت عيناها منظر رون يراقص المرأة الطويلة ذات الشعر الاسود، ساندرا هومز... فاخطأت بخطواتها وترنحت، فأمسك بها جايمس:

ـ الامر ظاهر عليك.

ـ وما هو؟

ـ الغيرة.

ـ ولماذا أغار على رون؟

تغيرت أنغام الموسيقى الى موسقى هادئة، فجذبها جايمس إليه أكثر.

ـ هل نريهم الطريقة المثلى لهذه الرقصة أليسا؟

لمحت أليسا مرة أخرى الجسدين الملتصقين فدفعتها الغيرة الى أن تفقد حسن تصرفها. فقالت:

ـ لماذا؟

لو علمت أليسا ماذا ستسبب لنفسها لما وافقت، لكن حين عرفت كان الوقت قد فات، فقد ارتد الجميع وأفسحوا لهما حلقة وراحوا يتأملون رقصهما.

لم يكن في رقصتهما أية ثنائية، كانا يتمايلان مع الموسيقى بانسجام كامل، حتى إذا ما انتهت المقطوعة الموسيقية، تعالى الهتاف وتصفيق الاعجاب. وقال لها جايمس:

ـ لم أعلم أنك بارعة في الرقص، يجب أن نرقص معاً دائماً.

وتركت أليسا الحلبة، فالتف الناس حولها مهنئين. مضت بضع دقائق قبل أن تصبح وحدها. سمعت وقع خطوات خلفها فلم تحتج الى أن تلتفت لتعرف أنه رون:

ـ ما عرفت أنك راقصة ماهرة أليسا. يمكنك وجايمس الارتزاق من الرقص الثنائي.

ـ أنا سعيدة لأن رقصي أعجبك.

ـ الاعجاب كلمة غير مناسبة، بل الاشمئزاز هي الانسب.

فاستدارت بحدة إليه:

ـ وما هو المثير للاشمئزاز فيه؟

ـ عرضك معه يناسب غرفة نوم أكثر مما يناسب قاعة رقص!

ودون أن تدرك ما تفعل، علت يدها فصدمت بقوة وجه رون.

ـ كيف تجرؤ؟ من بين كل الوحوش...

وابتلعت كلامها، لتستدير وتمر بقربه. فشدها إليه ثانية.

ـ لا.. لن تذهبي، فأنا لم أسمح لامرأة من قبل بأن تصفعني.

ـ إذا لم تبتعد عن طريقي فسأصفعك ثانية. دعني أذهب! لا أريد رؤيتك بعد الآن... أكرهك!

فجأة ما عاد هناك غضب على وجهه وما عادت عيناه تلمعان شرراً.

ـ آسف يا أليسا. لم يكن لي الحق في قول ما قلت.. أتسامحينني؟

ولم ترد.. فانحنى ليحدق في وجهها عن قرب:

ـ ارفعي عينيك أليسا.. لا أستطيع رؤيتهما...

فرفعت أهدابها ببطء ليحدق في عمق عينيها الزرقاوين، وقال ثانية:

ـ سامحيني.. لكن عندما شاهدتك بين ذراعيه أحسست بغيرة قاتلة. لا أطيق أن يلمسك رجل آخر... فأنت لي.

ـ أجل.. أنا لك. وقريباً سأصبح زوجتك.. وهذا ما يجب أن يملأك ثقة لئلا تغار.

وتذكر أنه قال الكلمات نفسها لها منذ وقت قصير.. فتغيرت أساريره.

ـ لقد قلت هذا عمداً! أردت أن تظهري لي سخافة ملاحظاتي!

فردت بنعومة:

ـ ذكي أنت!

فانخفض رون رأسه حتى وضعه على كتفها قريباً من عنقها:

ـ أوه أليسا.. يا لغبائي!

كان خده ساخناً على بشرتها، فتمنت البقاء هكذا الى الابد. وأجابته:

ـ لست غبياً حبيبي.. بل رجلاً يحب... يريد امرأة تحبه أيضاً.

ـ وكلانا يغار على الآخر.

ـ أجل ويجب أن نتذكر هذا.

فاستقام.. ورفع حاجبه بطريقته الساخرة المعتادة:

ـ لا أعتقد أنني سأنسى أليسا. فأنت تلقنين الانسان دروساً قاسية.

* * *

فراشة المحبة

٩ ـ عيون الليل

كان رون خلال شهر نيسان غارقاً في عملية اندماج شركته مع شركة أخرى.. ومع أنه لم يتمكن من الرجوع الى المنزل كل مساء، فقد اكتفت أليسا بأن تعرف أنه مازال في البلاد.

عندما اقترب موعد الزواج، انشغلت بتحضير ثيابها خاصة ثوب الزفاف. وكانت قد سافرت مراراً مع رون الى نيويورك قاصدة الخياط، ثم حين كانت تنتهي من القياس، كانت تذهب لقضاء بعد الظهر في زيارة المحلات لشراء ما يلزمها قبل العودة الى «برايت هاوس».

في أواخر نيسان قال لها رون إن تاجر فنون فرنسي وزوجته قادمان لقضاء نهاية الاسبوع معهما في برايت هاوس.

ـ المسيو دودران صديق قديم وهو الآن وزوجته في طريقهما من باريس الى لوس أنجلوس.. وأنا واثق بأنك ستعجبين بهما.

ـ ليتهما لا يتحدثان عن الفن طوال الوقت.

ـ هذا عائد إليك، فأنت المضيفة، وظيفتك أن تقودي الحديث في الاتجاه الذي تريدينه.

فضحكت له وهو يتجه الى السيارة، وانتظرت الى أن اختفت حتى تقصد غرفة الطعام لتقول للعمة إن هناك ضيوفاً. لكنها دهشت حين رأت أن العجوز لم تنزل بعد، فاتجهت نحو الدرج لترتقيه وهي تريد أن تسأل عنها فشاهدت الخادمة مسرعة نحوها.

ـ الآنسة آردين لم تنهض من سريرها اليوم، لديها ألم في المعدة.

ـ هل أتصل بالطبيب؟

ـ لقد اتصلت يا آنسة. إنه عادة يصف لها دواء أبيض اللون ويأمرها بأن تخفف من الطعام!

تركت أليسا أمر العمة بين يدين قادرتين، واتجهت تبحث عن مديرة المنزل، وكانت قد اعتادت على التصرف كربة منزل. فلما وجدتها راحت تتفق معها على ما يجب تحضيره من طعام وحلوى وعلى ما يجب فعله لتجهيز غرفهما. «برايت هاوس» كان عالماً قائماً بذاته، الخدم سكانه، وهي المشرفة التي ستصبح عما قريب الملكة.

عند السادسة مساء وصل السيد والسيدة دودران، فأعجبت أليسا بالزوجين الفرنسيين... مر العشاء دون إزعاج. وأعلمتها عينا رون ولمسة يده عندما دخلا المكتبة لاحتساء القهوة، أنه فخور بالطريقة التي تصرفت بها أمام صديقيه. وأحست أليسا بالسعادة لأن جايمس غائب عن العشاء، فهو كفنان سيسيطر على الحديث.. لكنها مع ذلك دهشت عندما رفض دعوة العشاء، وأرادت أن تسأله عن سبب الرفض حين تراه ثانية..

أعادتها ضحكة مدوية الى الحاضر، فارتدت في مقعدها تتمتع بالحديث..

قال لها دودران:

ـ ليتك تشجعين زوجك على اقتناء التفائس الفنية.

فضحك رون:

ـ في الوقت الحاضر، إنها تحضّر جهاز العروس.

فردت أليسا:

ـ لا أعرف إلا القليل عن الفن. فكيف لي أن أحث على جمع تفائس؟

فأمسك دودران بيدها:

ـ مون شيري.. هذا غير صحيح. عندما تزوجت كليراتس لم تكن تعرف الفرق بين رامبرانت وبيكاسو..

فقالت زوجته مستاءة:

ـ حقاً.. مون شيري.

ـ أليسا لن تنزعج من مزاحي، على كل أرجو أن تصبح صديقتنا أيضاً. أعرف خطيبك منذ طفولته.. كنت أفد عليهم لأشتري بعضاً من إرث عائلة آردين الفني.

فرد رون مازحاً:

ـ وأنت الآن تبيعها لي مجدداً.

ـ لم يعد عندي شيء منها.. لقد اشتريتها جميعها.. والحديث عن الارث يذكرني بشيء. لقد سمعت أنك اشتريت تمثالاً لحصان خزفي من صنع سلالة تانغ. ويجب أن أراه قبل ذهابي.

ـ بكل تأكيد لكن معلوماتك مخطئة. إنه ليس تمثالاً لحصان خزفي بل تمثالاً من الجاد لجسد امرأة. أظنه أجمل قطعة أملكها.

ـ إن لمعلومات كهذه منك قيمة.

دنا رون من رفوف الكتب فأخرج ثلاثة مجلدات، فإذا بخزانة تظهر في الحائط. مد يده ليدير قرصاً سرياً يحتوي على رقم سري، ثم مد يداً الى كوة صغيرة وأخرج حزمة مفاتيح، وبعدها أعاد الكتب الى الرف. وقال لدودران:

ـ هيا.. فأنا أحتفظ بالتمثال في الغرفة الخضراء.

أثناء توجههم الى الغرفة، لمست أليسا ذراع رون وهمست:

ـ سأنضم إليكم بعد لحظات، أريد الاطمئنان على العمة.

وجدت العمة جالسة في سريرها، تتوق الى معرفة ما يجري في السهرة. فأكدت لها أليسا أن كل شيء على ما يرام وطلبت منها بكل لطف أن تخلد للنوم.

ـ انتظرت أن تتفقدني دوروثي. أين ذهبت؟

ـ لعلها مع جايمس.

فاستندت العمة الى الوسائد:

ـ كانت متوترة الاعصاب هذين اليومين. وأنا واثقة بأن هناك ما تفكر فيه.

ـ إنها تفكر طبعاً في جايمس.

وتركت أليسا العمة ثم عادت الى الجناح الغربي. كانت الغرفة الخضراء مظلمة وفارغة، فأدركت أنها تأخرت جداً عند العمة. فسارعت الى غرفة المكتبة.

ما إن دخلتها حتى علمت أن شيئاً ما قد حدث. كانت السيدة دودران تجلس قرب المدفأة تلوي منديلها بعصبية، بينما زوجها ورون واقفان معاً شاحبين، فأسرعت الى رون:

ـ حبيبي.. ماذا حدث؟

ـ تمثال الجاد اختفى.. عندما فتحت صندوقه وجدته فارغاً.

ـ أُسرِقَ؟

فرد بصوت مرتجف:

ـ أجل... والفاعل من أهل المنزل، وهذا ما يتعبني.

سأله دودران:

ـ من يعرف موضع مفاتيحك؟

ـ عائلتي فقط.

ـ والخدم؟

ـ إنهم معي منذ سنوات... على كل ما من أحدٍ منهم يعرف شيئاً عن الخزانة التي خلف الكتب.

فصاحت أليسا:

ـ لا يعقل أن يكون الفاعل من الداخل.

ـ أخشى أنه كذلك. فالمنزل مسيّج بأحدث أجهزة الانذار. وعليه

فإن الجهاز سينطلق ما إن يلمس أي شخص الصندوق أو يقترب من اللوحات. هذا إن لم يتخذ الاحتياطات طبعاً.

ـ وهل أخبرت الشرطة؟

ـ بالطبع لا. فآخر ما أرغب فيه هو هذا.

فقال دودران شارحاً:

ـ في مثل هذه الحالة.. عليك اعلام شركة التأمين. التي ستكلف تحرياً خاصاً ليتحرى الامر.

فنظرت أليسا الى رون:

ـ وكم يساوي التمثال؟

ـ مئة ألف دولار، تقريباً.

فظهر عليها الذهول، فابتسم رون، ثم تحدث الى دودران:

ـ يؤسفني أن ما حدث أفسد عليكما الزيارة.

ـ يا ولدي العزيز. لا تفكر في الامر.. وأنا مسرور لأننا كنا السبب في اكتشافك السرقة.

ـ هذا صحيح لولاكما لما عرفت أن التمثال اختفى قبل أشهر على الاقل.

وسأله السيد دودران:

ـ متى شاهدت التمثال آخر مرة؟

ـ منذ ستة أسابيع. أريته لأليسا.. وربما الآن هو موجود في الجهة الأخرى من العالم.

وتنهد:

ـ دعونا ننسى الموضوع.. فأنتم دون شك ستمتموه فلتشرب ما يريح أعصابنا ولنخلد بعدها الى النوم.

أمضت تلك الليلة والاحلام تؤرقها، فرأت في منامها أن التمثال قد دبت فيه الحياة وراح يطل عليها من كل زاوية في الغرفة. حاولت يائسة حتى أمسكت به، لكنها ما إن لمسته حتى رأته يتحول الى طاولة

دهان لطخت يديها بالاحمر. رعبها الشديد أيقظها، فجلست في السرير، ثم أضاءت المصباح الجانبي...

حجبت عنها الستائر المسدلة رؤية الشمس، لكنها عندما نظرت الى ساعتها دهشت فقد وجدتها تتجاوز التاسعة. دفعت عنها الاغطية بسرعة ثم استحمت وارتدت ثيابها، وعندما وصلت الى غرفة الطعام شاهدت منديلاً مهملاً أمام مقعد رون مما يدل على أنه تناول الفطور وانتهى.

تناولت قطعة خبز بسرعة، اتبعتها ببعض القهوة.. كانت تحس بنذير شر يملأ نفسها، ليس بسبب تمثال الجاد فقط، بل بسبب المنزل نفسه. توجهت نحو المكتبة، ثم حين كادت تفتح الباب، أطل منه رون، قبلها قبلة الصباح بسرعة، فتعلقت بعنقه تحس بالامان.

فقال لها:

ـ اتصلت بشركة التأمين، وسيرسلون محققاً اليوم.

ـ كنت ذاهبة لأتفقد العمة.. أعلمت بما حدث؟

ـ أجل.. لكنها تخشى أن يكون السارق أحد الخدم. فهم يعملون عندنا منذ سنوات، حتى بتنا نعتبرهم جزءاً من العائلة.

ـ أمازلت تعتقد أن السارق من داخل البيت؟

تردد قليلاً، ثم رد على سؤالها بسؤال آخر:

ـ ألديك بديل آخر؟

دون وعي منها، عاودها الحلم الذي رأته، ومعه تذكرت جايمس. لكن لم يكن لمخاوفها أساس، لذا خشيت أن تلمح بها.. فهزت رأسها، وأحست بالراحة لأن الزوجين دودران نزلا الآن.

مر الصباح ببطء، ثم شعروا بالراحة عندما وصل ممثل شركة التأمين الذي اختلى برون أكثر من ساعة، غادر بعدها دون أن يتحدث مع أحد. بعدما تلاشى صوت سيارته، عاد رون الى غرفة الموسيقى، قائلاً:

ـ ليس أمامنا إلا الانتظار. لقد بدأ تحرير الشركة بالعمل.

فسألته أليسا:

ـ وما هي فرص استعادة التمثال؟

ـ ليست كبيرة. فالقطعة صغيرة قد تُهرَّب بسهولة خارج البلاد.

سؤال آخر قفز الى طرف لسانها، لكن خوفها من دهاء رون جعلها تتردد. مع ذلك فهذا أمر يجب أن تعرفه، فمالت نحوه، وسألته بصوت متهدج من الخوف:

ـ كيف للمرء أن يبيع شيئاً كهذا؟

ـ إن من يتعاطى بيع التحف الاثرية كثيرون وهم على أهبة الاستعداد لشرائه.

ـ أتقصد سيئي السمعة منهم؟

ـ نعم إن لبعضهم زبائن أثرياء في الخارج يقبلون شراء أي شيء يعجبهم دون طرح أي سؤال عن مصدره.

ذكر هذا الامر دودران بقصة جرت معه فراح يرويها.

دخل أحد الخدم فأعلمهم بأن الطعام جاهز. فقالت أليسا:

ـ سأبحث عن دوروثي. لم أشاهدها طوال الصباح.

فرد عليها رون:

ـ إنها ليست طفلة. تعرف تماماً موعد الوجبات.

أحست بشك ملح لكنها قبل أن تقول شيئاً.. فُتح الباب ودخلت العمة، تجرر مبذلها وراءها، وقالت مرتجفة:

ـ لقد رحلت دوروثي.. فراشها لم يمسّ، وخزانتها فارغة.

قفز رون على قدميه قفزاً، وعيناه تلمعان غضباً:

ـ كنت أعرف أن هذا سيحدث.. لقد هربت مع جايمس.

فتأوهت العمة:

ـ أوه.. لا! لا يمكن أن تهرب!

ـ بل هربت. وها قد أصبح واضحاً الآن أن تمثال الجاد مع

جايمس الذي اتفق على ما يبدو مع دوروثي على سرقته.

فصاحت أليسا:

ـ لا. دوروثي لا! إنها لم تسرق شيئاً من قبل.

التفت رون الى عمته:

ـ هل تركت رسالة؟

ـ لا.. لكن جواز سفرها وجواهر أمها اختفت.

فقاطعته أليسا بانتصار:

ـ هذا يثبت نظريتي.. فلو سرقت دوروثي تمثال الجاد، لأخذت أيضاً الجواهر التي اشتريتها أنت لها كذلك. لكنها أخذت فقط ما هو لها.

رد رون بقساوة:

ـ حسناً.. سأقتنع ببراءتها. لم يبقَ أمامنا إلا جايمس!

وقف منجهاً نحو الباب فنادته أليسا:

ـ الى أين؟

ـ الى منزله!

ـ أتظنهما فيه؟

ـ لا.. ولكن شقيقته قد تكون هناك، وإذا وجدتها، فسأستخلص شيئاً منها مهما كلفني الامر.

خافت أليسا من تركه يذهب وحده فتبعته الى الردهة:

ـ انتظر حتى أحضر معطفي.. سأذهب معك.

ـ كما تشائين.

لكن المنزل كان مهجوراً كما توقعا تماماً. مع ذلك فتح رون الباب عنوة، وفتش الغرف كلها. عندما رأت أليسا قذارة المكان وبرودته علمت أنه مهجور منذ أيام.

عادا بصمت الى المنزل فوجدا العمة والضيفين يتناولون الطعام.. وكان غداءاً بائساً.. وسرعان ما غادر الضيفان المنزل بكل

لباقة...

بعد مغادرة الضيفين مباشرة، دخل رون المكتبة، وأمضى فيها ما تبقى من بعد الظهر يستخدم الهاتف.. وبقيت أليسا مع العمة، لكن عند السادسة مساءً، ذهبت العجوز الى غرفتها طلباً للراحة، وبقيت أليسا وحدها قرب النار، تنتظر رون الذي دخل أخيراً الى الغرفة. فسألته بلهفة:

ـ أهناك أخبار؟

ـ ليس بعد، لكنني كلفت وكالة تحريات خاصة بالامر.

ـ لماذا لا تتصل بالشرطة؟

ـ لو اتصلت لانتشر الخبر في صحف البلاد غداً.

فصاحت به غاضبة:

ـ ومن يهتم؟ أليست حياة دوروثي أهم من خوفك من الفضيحة؟

ـ لا أهتم بنفسي. بل بدوروثي! أن سمعتها ستتلطخ إن علم الجميع بهروبها مع نص! أملي الوحيد أن أجدها قبل أن يتسرب الخبر.

ـ قد ترفض العودة حتى إن وجدتها.

ـ سأفكر في هذا فيما بعد.. فلنجدها أولاً.

تناول سيكاراً.. لكن بعد أن أشعله، لم يتكلم. وتصاعد احساس أليسا بالعزلة وراحت تفكر في أن الحزن يجب أن يزيدهما اتصالاً لا بعداً.

رنين الهاتف أوقفه على قدميه فأسرع وخرج من الغرفة ليرد. عندما عاد قال لها إن شاباً وفتاة تنطبق عليهما أوصاف دوروثي وجايمس شوهدا في محطة القطارات، ترافقهما امرأة أكبر سناً.

ـ لا بد أنهما سيسافران الى لوس انجيلوس.. فلجايمس أصدقاء هناك.

فتمتم وهو يجلس:

ـ ستعرف عما قريب.

عند الحادية عشرة، تلقى مخابرة أخرى تحمل أخباراً سيئة، وقد أفادت أنهما لوحقا أثناء توجههما الى لوس انجيلوس، لكنهما فقِدا على الطريق. وقال رون:

ـ محطات البنزين والقطارات ومحطات الاوتوبيس في جميع أنحاء البلاد مراقبة، بحيث لن يتمكنا من استئجار سيارة.

ـ ربما يجب أن تذهب الى لوس انجيلوس بنفسك.

ـ لن أستطيع.. أتعرفين ما قد يحدث لو شاهدني مراسل ذكي، أفتش في فنادق المنطقة؟

ـ سافر متنكراً.

ـ بالله عليك أليسا، لو عطست لانخفضت أسعار البورصة. أتظنين أن بوسعي أن أقطع البلاد من أقصاها الى أقصاها دون أن يعرفني أحد؟

أدركت أن ما ستقوله سيكون خطأ لذا لاذت بالصمت، فراحت تتأمله وقد أغمض عينيه.

بعد نصف ساعة تقريباً، أعلنت الساعة منتصف الليل.. في تلك اللحظة بدا إنه لاحظ وجودها معه.. فقال لها برقة:

ـ القلق لن ينفع.. اذهبي الى فراشك يا عزيزتي.

ـ وماذا ستفعل أنت؟

ـ سأجلس هنا لأقرأ.

تاقت الى أن تركض إليه لتحضنه علها تخفف عنه، لكنها خافت. لو يتهمها بصراحة بأنها السبب في هروب دوروثي لاستطاعت عندها أن تتحدث إليه براحة. لكن ما من كلمة ادانة بدرت منه، وصمته أشاد بينهما حاجزاً ضخماً. قال مكرراً:

ـ اذهبي الى الفراش. أود أن أكون وحدي.

نفذت أليسا بصمت ما أراده. لكن بينما كان رون يقرأ ويلدع

غرفة الموسيقى.. كانت هي جالسة قرب النافذة تراقب الظلام بعد أن هجرها النعاس.. وسرعان ما أضاء نور الفجر السماء.

* * *

فراشة المحبة

١٠ ـ أصابع اتهام

لم يأتِ يوم الاحد بأية انباء، مع ذلك فقد حاول رون أن يتصرف وكأن الامور طبيعية. خرج مع أليسا في جولة صباحية على الاراضي، وعادا وقت الغداء ثم بعد الظهر استمعا معاً الى الموسيقى.

لكن إثر العشاء مباشرة، اعتذر وأوى الى غرفته، تعباً شاحب الوجه.

يوم الاثنين، انطلق كالعادة الى المدينة، واعداً بأن يتصل بأليسا حين تصله أية أخبار. لكنه لم يتصل، ومر اليوم بالنسبة لأليسا والعمة بثقل.

عند السابعة والنصف مساء، عاد رون، وعلى وجهه نظرة تبين بأن شيئاً قد حدث. فصاحت العمة:

ـ إنها دوروثي! لقد وجدتها؟

ـ لم أجد دوروثي، لكن شركة التأمين توصلت الى معلومات سرية عن التمثال.

فسألت أليسا:

ـ وأين هو؟

ـ اقتفى التحريون أثره لدى تاجر تحف أثرية في لوس انجيلوس.. وهذا كل شيء.

صباح الثلاثاء، نشرت الصحف كلها خبر سرقة التمثال. فمن أعلم شركة التأمين بمكان وجوده أعلم الصحف أيضاً.. أما العناوين

فكانت مثيرة متوهجة، استطاعت من خلالها أن تفهم أليسا الوضع الذي يكون عليه من يراقب من قبل الصحف، كما استطاعت أن تفهم مخاوف رون من الفضيحة. لقد نشرت الصحف هذه الاخبار كلها عن تمثال مسروق، فكيف لو علمت بهرب دوروثي مع سارقه. الآن ما عادت تأبه بخسارة التمثال بمقدار اهتمامها بدوروثي التي قد يشوه الحدث سمعتها... فماذا سيحدث لو وجدوها مع السارق؟

يوم الاربعاء زارتها إيريكا في «برايت هاوس» حيث أمضت الليل عندها. أعطتها رؤية وجه صديقتها الودود الطمأنينة التي كانت تحتاجها يائسة، وقالت لها وهما تجلسان في غرفة الموسيقى بعد العشاء:

ـ أنت صديقتي الوحيدة.

لم تخفِ إيريكا دهشتها، فهي لم تتعود على سماع ملاحظات مبالغ فيها من أليسا:

ـ كنت أظن النساء العاشقات لا يحتجن الى صديقات، ما دمن مع الرجل الذي اخترنه!

ـ لا أدري إن كان الرجل الذي اخترته لي؟

ـ لا تقولي لي إن حبه بدأ يضمحل من قلبك!

ـ ليس هذا ما أعنيه.. لكنني ما عدت واثقة من حبه. فهو يبتعد عني بسبب هرب دوروثي.

ـ هذا جنون! فلا يقع عليك اللوم.

ـ لكنه يلومني.

ـ كم أود أن أقول له ما أظنه أنا.

ـ إياك.. فسغضب إذا عرف أنني أخبرتك. ما يزال الامر سرياً حتى الآن. لم يستطع منع تسرب خبر السرقة، لكنه يحاول المستحيل حتى يخفي خبر هرب دوروثي.

ـ إنه دون شك يعرف أنك ستخبرينني. يجب أن يعلم أنك تثقين

بشخص ما.

لم ترد أليسا، أما إريكا فسكبت فنجان قهوة آخر. ثم تابعت كلامها وكأنها تتفوه بأفكار أليسا:

ـ المشكلة يا فتاة، أن حبك له جعلك تخافين منه.. مازلت أذكر يوماً ليس ببعيد عندما كنت لا تجدين صعوبة في قول ما تفكرين فيه تماماً، أعجبه هذا أم لا.

ـ أخاف أن أخسره.

ـ أتظنين أنك ستحتفظين به بتصرفاتك الخاضعة؟ لا سبب يدعوك للاحساس بالذنب بسبب قرار دوروثي.. اخبريه بهذا. بالله عليك.. بوحي بما في قلبك له! جادليه، خاصميه، افقدي أعصابك إنما لا تسمحي له بأن يسيطر عليك.

لم تستطع أليسا سوى الابتسام أمام عنف كلماتها.. وردت:

ـ إنه لسهل أن تقولي هذا. لكن عندما تقعين في حب أحد ستجنبين القيام بأي شيء للحفاظ عليه.

ـ حسناً.. لن تحافظي عليه مادمت على حالك هذه. قلت لي إنه أحبك لأنك ما كنت تخشينه، وها أنت الآن تقومين بالعكس تماماً!

لم يكن هناك مجال لنكران صحة هذا القول، وقررت أليسا أن تتبع النصيحة.

ـ لماذا لا تبقين معي قليلاً، فالمنزل كبير وأنا وحدي فيه.

ـ شكراً على هذه الدعوة! لكنني جئت لأعلمك بأنني سأتغيب عنك سنة لأنني مسافرة.

ـ الى أين؟

ـ الى انكلترا.. برنامج تبادل المعلمين. في مثل هذا الوقت من الاسبوع القادم سأكون في مدينة برادفور، في مقاطعة يوركشاير.

كانت معرفتها بسفر صديقتها صدمة غير متوقعة لأليسا، فالسنوات التي أمضتاها معاً منذ وفاة والدها جعلتها شديدة التعلق

بها.

ـ ليتك لا تذهبين، كنت أعتمد عليك يوم الزفاف. ألا يمكن تأخير السفر؟

ـ لا أعتقد، وإذا لم أقبل بهذا العرض قد لا أجد فرصة أخرى قبل سنوات، لذا يجب أن أسافر يوم الجمعة. والآن عديني بشيء أليسا.. تحدثي مع رون بكل صراحة.

ـ لا تقلقي.. سأفعل.

كان تصميم أليسا كلاماً أسهل منه فعلاً. فقد اتصل رون صباح الجمعة ليقول بأنه غير قادم للعشاء، فسألته دون أن تستطيع منع الانزعاج عن صوتها:

ـ أيعني هذا أنك لن تأتي الليلة؟

فرد باقتضاب:

ـ لا أعني هذا.. لدي اجتماع مجلس ادارة، ويبدو انه سيدوم حتى وقت متأخر.. وبعد الاجتماع سأقابل ممثل شركة التأمين.

ـ سأؤخر موعد العشاء.

ـ لا تؤخريه. فلا أعرف متى أرجع.

ـ ولماذا يريد ممثلو شركة التأمين رؤيتك؟

ـ سأخبرك لاحقاً.

وأقفل الخط قبل أن تسأل المزيد.

عند الثامنة من الصباح التالي، كانت تحتسي فنجان القهوة الثاني. عندما دخل رون غرفة الطعام، مرتدياً سروالاً وسترة رياضية. لكن الراحة لم تظهر على تصرفاته، فوجهه مخطوف لونه وصدغاه نابضة عروقها.

كادت تقف لتتقدم نحوه، لكن حين وجدته غير مستعد لاستقبالها عادت للجلوس، ثم قالت:

ـ انتظرتك ليلة أمس.. لكنك عدت متأخراً جداً.

ـ دام الاجتماع أكثر مما توقعت.
ـ مع ممثلي شركة التأمين؟
ـ أجل.
ـ وماذا حدث؟
ـ لا شيء.
فتنفست عميقاً:
ـ أنت لا تخبرني الحقيقة.. أعلم أن هناك شيئاً ما. أعرف ذلك من هذه النظرة التي على وجهك.. فما الامر؟
تقدم نحوها، لكن قبل أن يتكلم دخل الخادم، فاستدار رون نحوه غاضباً:
ـ كيف تجرؤ على الدخول هكذا؟
وصمت... ثم وضع يده على جبهته، وقال بوجه شاحب:
ـ آسف جون، لا يحق لي أن أتكلم معك على هذا النحو.
ـ لا تقلق سيدي، أعرف أنك منزعج. لكن ساعي البريد جلب هذه الرسالة ولديّ شعور بأنها من الآنسة دوروثي.
حدّق رون دون حراك في المغلف... وترك الامر لأليسا لتتناوله. وقالت مقطوعة الانفاس:
ـ إنه من المكسيك. وأظنه بخط جايمس.
انسحب الساقي، فأخذ رون الرسالة من أليسا ثم فضها وشرع بقراءتها. لكنها وجدته يزداد شحوباً وقلقاً.. فما هي الاخبار الفظيعة التي جعلته هكذا؟ أخيراً لم تعد تطيق صبراً، فتقدمت نحوه ووضعت يدها على ذراعه:
ـ ما الامر رون؟
دون أن ينظر إليها مرر لها الرسالة، وجلس في كرسي:
ـ اقرئيها.
أمسكت الرسالة بيد مرتجفة وراحت تقرأ:

«عزيزي آردين.
من الواضح أنك حتى الآن ربطت هربي بسرقة التمثال. ومع أنني لم أكن أريد الكتابة لك، إلا أن واجبي لا تجاه نفسي فقط، بل تجاه دوروثي يدفعني الى أن أخبرك الحقيقة التي أعلم يقيناً أنها ستؤلمك.. صدقني، رغم رفضك زواجنا، لا أتمنى لك أذى. لكنني لا أستطيع الوقوف جانباً للتفرج على شخصيتي وهي تذوب. قد أكون وجودياً حسب فلسفتك، متكعاً عاطلاً عن العمل... لكنني بكل تأكيد لست لصاً.. لو كان لي العقل الراجح لأجمع اثنين مع اثنين، لمنعت ما حدث كله.

«لن يعجبك ما سأبوح به، لكن يجب أن أقوله.. لقد أحببتني أليسا، ولهذا السبب سرقت التمثال. اعتقدت أنني سأهرب معها إن كانت تملك مالاً خاصاً بها. وهنا يبدأ ذنبي، لأنني عبثت معها. لكنني أقسم أنني ما تصورتها ستتجاوز حدها كما فعلت. وعندما أخبرتني أنها سرقت التمثال، حرت في أمري، وكان أول ما فكرت فيه أن أفضحها. لكنها هددتني بالصاق التهمة بي. ولولا كراهيتك التي تكنها لي لتصرفت على نحو مختلف. خفت وهربت، آملاً أن يعيد هذا الى أليسا الصواب، فتعيد التمثال.. لكنني عندما شاهدت الصحف، التي وصلت متأخرة الى المكسيك، علمت أنها لم ترجعه، لذا تحدثت بالامر مع دوروثي التي أصرّت أن أكتب لك القصة كلها.»

راحت الرسالة تتراقص بين أصابع أليسا، فبقيت لحظات غير قادرة على الكلام، لا تصدق أن بامكان جايمس اختراع مثل هذه القصة. ثم همست غضباً:
ـ لماذا يفعل هذا؟ لم أؤذه يوماً. حاولت أن أساعده.. لماذا يفعل هذا بي؟
فقال رون بهدوء:

ـ ليبرىء نفسه. فهو يعلم أنني اتهمه بالسرقة وهذا يعني أنه من المستحيل أن يعود الى أمريكا.

مرت لحظات قبل أن تستوعب معنى كلماته، وعندما فهمتها غمرها الرعب حتى ارتجفت فأمسكت بالطاولة لئلا تقع:

ـ أنت لا تصدقه.. صحيح؟

ـ وهل يكذب يا أليسا؟

ـ ولماذا تسألني؟ هل أنت بحاجة الى أن أنكر رسالته. أتعتقدني تلك المخلوقة الشريرة التي يصفها جايمس؟ هل أنا مضطرة للدفاع عن نفسي أمامك، أمام الرجل الذي من المفترض أنه يحبني؟

ـ لكنني أحبك.

فهزت رأسها بعنف:

ـ لا..! لو كنت تحبني لما تمكنت من تصديق هذه الرسالة. فهمت الآن لماذا كنت تتصرف بغرابة منذ هروب دوروثي. لقد شككت فيّ منذ البداية.

ـ هذا غير صحيح!

ـ بلى صحيح.. لم تكن تطيق الاقتراب مني.

وتدفقت الدموع فوق وجنتيها، فمسحتها بظاهر يدها.

ـ اعتقدت أنك تتصرف على هذا النحو لأنك تلومني على فرارها، وها أنا الآن أرى أنك تعتبرني السارقة.

ـ لا.. كنت ساخطاً عليها. وأعتقد أنني حملتك المسؤولية. لكنني لم أشك قط في أنك السارقة..

ـ قط.. كلمة قوية جداً.. بل هي أقوى منك. فأنت بسهولة اتهمتني.

ـ بسهولة؟ أتظنين أن من السهل عليّ أن أشك فيك.. أتظنين أنني لم أقاوم الشك منذ اللحظة الأولى؟

فأشارت الى الرسالة، وقالت ببرود لاذع:

ـ لكنك لم تقاوم هذه طويلاً.

فقال بهدوء:

ـ ليست هي السبب فقط. فبالامس سمعت..

صمت، ثم مال برأسه ليسنده الى يديه وكأنه لا يطيق النظر إليها.

ـ بدأ كل شيء ليلة أمس، ولهذا لم أستطع المجيء للعشاء. ليلة أمس أعطاني رجال شركة التأمين وصفاً لامرأة أخذت التمثال الى بائع التحف الاثرية. كانت امرأة طويلة، نحيلة ذات شعر ذهبي لماع.

سحقت كلماته أذنيها كقوة جامحة فحطمت أمنها، سعادتها.. ومستقبلها. حاولت أن تتحدث، لكن الكلمات علقت في حنجرتها. فاغمضت عينيها تقاوم لتسيطر على نفسها. أردف رون:

ـ ليتني تخليت عن مالي كله قبل أن اضطر الى أن أقول لك هذا.. ذكر لي الاوصاف ليلة أمس... لم أصدق... وتشاجرت مع رجال التأمين وطلبت منهم أن ينسوا كل شيء.. ولولا استلامي هذه الرسالة من جايمس لما أخبرتك أبداً بما حدث بالامس.

ففتحت أليسا عينيها:

ـ أكنت ستتزوجني رغم إيمانك بأنني سارقة؟

ـ لم أصدق ليلة أمس.

ـ لكنك شككت قليلاً في شرفي. وإلا لما طلبت منهم نسيان الامر... ليس من عادتك التخلي عن مئة ألف دولار!

ـ كنت أفضل التخلي عن مليون على أن أخبرك ما أخبرتك به الآن.. لقد بنيت حياتي كلها على أنك فيها اليسا لأنني أحبك.

فصاحت به:

ـ أنت لا تعرفني جيداً ولا تحبني.. ولو عرفتني لما شككت بي. أتعتقد أنني قد أصدق لحظة واحدة بأنك لص؟

ـ لم أصدق هذا قبل وصول الرسالة..

فصاحت كالمجنونة:

ـ دعك من الرسالة! فأنت لم تثق بي حتى قبل استلامها. إياك أن تفكر، كنت تخشى دائماً أن يكون حبي طمعاً في مالك. وكم أنت محق! لماذا يجب أن يحبك أحد لنفسك؟ أنت لا شيء! لا شيء! أنت لا تملك عاطفة ولا دفئاً! أنت مجرد آلة لصنع المال، لا تعرف معنى الحب!

وقف بصمت فسار الى طاولة جانبية، عليها علبة سيكار، راقبته أليسا، يقطع طرفه، ويشعله ببطء. وتعجبت لأنه حتى في هذه اللحظات قد يتصرف بمثل هذا البرود الجامد. مع ذلك، فتصرفاته الطبيعية ساعدتها على استعادة رباطة جأشها. فخفت حدة غضبها، وأفسحت لها المجال لتفكر بعقل، وسألته بهدوء:

ـ هل أنا الفتاة الوحيدة في العالم ذات الشعر الذهبي اللماع؟ أليس من السهل شراء شعر ذهبي مستعار.

أبقى ظهره إليها وأجاب:

ـ ليس الشعر فقط... فالمرأة كانت ترتدي معطف فرو السنجاب!

أحست أليسا أنها تكاد تضحك، فمن السهل استئجار أو استعارة معطف كهذا... لكن كم من المعاطف في الدنيا من هذا النوع؟ اثنان.. ثلاثة؟ وتصاعدت الهستيريا في نفسها... من المضحك التفكير في أن أغلى هدية قدمها لها رون، هي الشيء الذي يحطم هذا الحب.

وقال لها بحدة وهو يلتفت إليها:

ـ ألن تقولي ان شخصاً استأجر المعطف كذلك؟ يا إلهي يا أليسا؟ ذلك المعطف لا يقدر بثمن... ثمة ثلاثة منه فقط في العالم!

فهزت رأسها وأجابت بهدوء:

ـ أتظن أنني لو أردت أن أبيع التمثال، لذهبت الى ذلك المحل

مرتدية المعطف الذي لا يصعب أبداً التعرف إليه؟ مادمت تحكم عليّ فعلى الاقل امتحني مكراً يتماشى مع هذه الصفة!

فقال بخشونة:

ـ بلى.. فلو حاولت بيع التمثال الثمين وأنت ترتدين معطفاً عتيقاً، لشك فيك البائع. بسبب المعطف، الذي بدوت فيه ثرية، اشتراه منك.

ـ وماذا فعلت بالمال يا ترى؟ بكل تأكيد يمكن اتباع الشيك؟

فضرب رون بيده على الطاولة بعنف حتى كاد يحطمها.

ـ لقد دفعوا لك نقداً. فلا تدعي النسيان.

ـ إذن ربما عليك أن تفتش غرفتي بحثاً عن المال، أم ظننتني أعطيته لجايمس؟

ـ لا أريد أن أظن شيئاً. كل ما أريده هو أن انساك.

تقدم الى النافذة وأخذ يحدق الى المرجة في الخارج:

ـ لن أقاضيك. فأنا أعتبر نفسي محظوظاً لاكتشافي أمرك قبل فوات الاوان.

ـ كم كان ثمن هذا بخساً يا رون... مئة ألف دولار لتكتشف من أنا. تذكر أنك لولا رسالة جايمس لتزوجتني. وعندها كنت سأصبح مليونيرة!

ـ قلت لك إن الرسالة ليست السبب . بل الوصف الذي أمدني به البائع. وهناك المعطف أيضاً.

بعد طول صمت حل بينهما، لم تعد تستطيع الاحتمال فتمتمت:

ـ رون.. رون.. انظر إليّ!

ـ الافضل ألا انظر. ليتني لا أراك ثانية، مدى حياتي.

دفعتها كلماته الاخيرة الى التحرك، فانتزعت الخاتم الالماسي من يدها ورمته على الطاولة وسارت نحو الباب. ثم وقفت لتنظر إليه وتقول بمرارة:

ـ لن أقول إلا أنني بريئة.. لكن ما أقوله لا يهم في الواقع. فقد حكمت عليّ دون أن تسمع دفاعي. لو كنت مكانك لامنت ببراءتك مهما كان الدليل دامغاً ضدك.. لأنني أحبك!

ـ أرجوك.. اذهبي.. لا أطيق رؤيتك!

فتمتمت:

ـ مسكين رون... بامكانك قول هذا لي الآن. لكن سيأتي يوم تدرك فيه مدى خطأك.. وعندها لن تتمكن من النظر الى نفسك.

* * *

فراشة المحبة

١١ ـ الماضي لا يموت

حزمت أليسا حقائبها ثم استدعت سيارة الاجرة التي ستتأخر نصف ساعة، وهذا يعني أن تنتظر.. لكن من المستحيل أن تترك «برايت هاوس» دون وداع العمة. ملأتها فكرة شرح الامر لها رعباً، إلا أنها آمنت أن من الجبن أن ترحل دون وداع.

عندما دخلت غرفة العجوز علمت من النظر إليها أن الشرح غير ضروري، فقد سبقها إليه رون.. مدت العجوز يديها الى أليسا:

ـ يا عزيزتي.. أنا آسفة جداً.

صرخت أليسا يأساً وارتمت على كتفها تجهش بالبكاء.. فتمتمت العمة:

ـ لست أدري ما أقول. لقد جنّ دون شك، فهذا هو الوصف الوحيد الذي ينطبق على تصرفاته.

فرفعت أليسا رأسها:

ـ ألا تصدقين يا عمة القصة؟

ـ إن كنت أنت سارقة فأنا إذن ملكة بريطانيا! لا أصدق ما كتبه جايمس ولا أؤمن بأي دليل آخر.. كل ما أعرفه أنك بريئة!

ـ لكنه يقول...

ـ فليذهب الى الجحيم! لو اعترفت أمامي بنفسك أنك السارقة لما صدقت... أعتقد أنك راحلة؟

ـ أجل وأنا انتظر سيارة الاجرة.

- والى أين؟

فاجأها السؤال. فحتى تلك اللحظة كانت قد نسيت أن إيريكا سافرت بعد أن أجّرت الشقة مدة سنة. فتمتمت:

- سأجد لي غرفة مفروشة.

- يجب أن تعلميني بعنوانك حين تستقرين.

- فليكن فراقنا أبدياً، إنه أفضل لنا.

- لكن يجب أن أعرف أخبارك.

فابتسمت أليسا:

- لا تقلقي.. سأكون على ما يرام. ففي هذه الايام لا يموت تحطم القلب الفتيات.

- وقلبك محطم.. أليس كذلك؟

فجأة دوى زمور في الخارج، فسارعت الى النافذة فإذا به التاكسي.

- السيارة هنا، ويجب أن أذهب.

لم تجد غرفة مفروشة في منزل مشترك إلا في وقت متأخر من المساء... وهذا المكان سيكون منزلها خلال السنة القادمة ويجب أن تتوقف عن التفكير في الماضي حتى تبدأ بالتفكير في المستقبل.

عند المحاولة الأولى وجدت وظيفة في مخزن بيع كتب في شارع برودواي. ومع أنها حاولت نسيان الماضي إلا أنها كانت تفتش كل يوم في الصحف بحثاً عن أخبار دوروثي. لكن ما استطاعت معرفته هو خبر صغير يعلن فسخ خطوبة رون اردين. ماذا سيقول زملاؤها الجدد لو عرفوا أن الفتاة خلف طاولة البيع هي من كانت ستتزوج أغنى رجال المدينة!

خوفاً من افتضاح أمرها، قررت أليسا أن تتنكر، فربطت شعرها الاشقر الى الخلف ووضعت على عينيها نظارة زجاجية. لكن لم يكن هذا التنكر الذي أخفى شخصيتها إنما انخفاض كتفيها وخسارتها

الوزن تدريجياً، وقد سبب ذلك تجويفاً في خديها، وظلالاً سوداء حول عينيها.

لكن القدر تدخل فجأة.. ففي إحدى الامسيات، بعد ستة أسابيع من وجودها هنا، كانت في مؤخرة المخزن تستعد للمغادرة عندما سمعت رجلاً يسأل عن نسخة جديدة لكتاب يتحدث عن التصوير. ودون ارادة منها نظرت إليه، لكنها عادت فارتدت مختبئة لأنها عرفته فهو جاك هاريس. حركتها هذه لفتت نظره فاقترب منها قائلاً:

- أيمكنك مساعدتي؟ كنت أبحث عن بائعة منذ خمس دقائق.

فتمتمت:

- لقد أقفلنا المحل. وأنا على وشك الذهاب.

وابتعدت عنه، لكن بينما كانت تبتعد سقط شعاع على شعرها فصاح جاك:

- لا..! لا تذهبي!

وتقدم منها ليمسك بذراعها. فصاحت به:

- دعني وشأني!

- لا تكوني سخيفة! فأنا أعرف هذا الشعر في أي مكان من العالم. ماذا فعلت بنفسك بحق الله؟ تبدين كالشبح.

فعادت إليها روحها الشرسة:

- لست شبحاً، فأنا أرتدي ملابسي هذه لئلا يعرفني أحد.

- يلزمك أكثر من هذا لتخدعيني.

- أي كتاب تريد؟

- انسي أمر الكتاب! فأنا الآن مهتم بك! وأريد التحدث إليك!

- أتتحدث مع سارقة؟ أعتقد أن رون أخبرك أنني سرقت التمثال!

- أجل أخبرني. لكن ما من أحد يملك عقلاً سليماً يصدق هذا.

- لكن رون يصدق!

- من خلال ما رأيته أثناء زيارتي له، أستطيع القول إنه لا يتمالك

توازنه وإن عقله ليس بسليم. هيا بنا نخرج من هذا المكان.

علمت من نظرته الصادقة أنه مصمم على الخروج معها، فالتقطت حقيبتها ومعطفها وخرجت معه. فأمسك ذراعها بقوة وكأنه يخشى أن تهرب منه، ولم يخفف قبضته عنها إلا بعد أن أدخلها الاستوديو في شقته.

نزع عنها بصمت معطفها.. ثم نظارتها، وفك عقدة شعرها ثم خلل أصابعه في شعرها الحريري.. ليسدله متحرراً فوق كتفيها:

ـ هذا أفضل... الآن تبدين أكثر فأكثر الفتاة التي أعرفها. استريحي ريثما أحضر بعض الشاي.

فجلست مرتجفة، وجزء منها يتمنى لو تتسلل من الغرفة لتهرب، أما الجزء الآخر فكان مسروراً لأن شخصاً من الماضي وجدها وأجبرها على استعادة نفسها. فهي في مطلق الاحوال أصغر من أن تبقى هاربة الى الابد. ويجب أن تتوقف لتواجه المستقبل، وكلما أسرعت في هذا كان الافضل لها.

صب جاك لها فنجان الشاي وقال:

ـ والآن، أخبريني بالقصة كاملة.

ـ ألم يخبرك رون؟

ـ لا أهتم بروايته.. أريد سماع روايتك.

وارتجفت الكلمات وهي تندفع من فمها، تحكي معها قصة أسابيع الوحدة والاكتئاب. وتوقعت أن يعلق جاك بشيء. لكنه استمع بهدوء، وعندما انتهت كان أول ما فعله أن أعاد ملء فنجان الشاي ثانية.

ـ لا شيء أفضل من وضع المشاكل تحت المجهر.

فابتسمت:

ـ شكراً لأنك تصدقني. فالقرائن كانت دامغة.

ـ ليس بالنسبة لي! لكن ما لا أفهمه كيف تمكن رون من تصديق

اتهام ذلك الخسيس. خاصة وهو الوحيد الذي لم يثق به قط!

ـ لم يكن السبب هو الرسالة بل تصريح البائع. فقد اقسم الرجل أن المرأة التي باعته له هي أنا. فشعرها ذهبي وترتدي معطف فرو.

وضع جاك فنجان الشاي من يده وأخذ يذرع الغرفة:

ـ ألم تفعلي شيئاً للدفاع عن نفسك؟ أستطيع فهم مرارتك تجاه رون، لكن كان عليك أن تبرهني براءتك؟ على الاقل كان بامكانك إثبات عدم وجودك في نيويورك يوم بيع التمثال.

ـ لسوء الحظ كنت هناك. رون كان مسافراً يومها، وأتيت الى المدينة لاشتري بعض الاشياء.

ـ وهل كنت ترتدين المعطف؟

ـ لا.

ـ لكن امرأة ما ارتدته، وتزيت بزيك.

ـ قل هذا لرون.

ـ عندما ذكرت اسمك، أصبح وجهه جافاً أمامي.

ـ لم أتوقع العكس. كيف يشعر تجاه دوروثي؟

ـ لا يريد ذكر اسمها كذلك.

ـ يا لظلمه! إن صدّق رسالة جايمس فلماذا لا يعامله بلطف.

ـ مازال على رأيه فيه.

ـ لا شيء يغيره.. إنه ظالم قاسي.

ـ للقادة أيضاً وجه آخر.. ورون مازال يحبك.

ـ إنه لم يحبني قط. وإلا لما اتهمني بالسرقة.

ـ الآن أنت على خطأ، فحبه لك جعله يحس بالوهن والخوف.

ـ ممّ كان يخاف.. أيخاف أن أؤذيه؟

ـ أجل.. تعلمين أن ثقته بنفسه ضعيفة. من الخارج يبدو طاغية، لكنه داخلياً هو رجل خائف لا يجرؤ على أن يصدق أن فتاة مثلك تريده لنفسه لا لماله. ولهذا حكم عليك سريعاً. وما مرد ذلك إلا

الى عدم ثقته بنفسه، أكثر من عدم ثقته بك.

ـ فلننسَ الموضوع برمته! لقد انتهى أمره.

ـ لكن عليك اثبات براءتك.

ـ ولماذا؟ بل لمن أثبته؟

ـ لنفسك.

ـ لا آبه بها.. حياتي انتهت، رون ميت بالنسبة لي، ولن أحب شخصاً آخر.

ـ أنت مازلت شابة و...

ـ شابة؟ أحس بأن عمري مئة عام. تحدثنا عني كثيراً، وماذا عنك؟ هل انهيت عملك الخاص؟

ـ أي منها؟ أعمل في ثلاثة مشاريع الآن؟

ـ العمل لمجلة أميركية في تصوير العواصم الاوروبية.

ـ أوه.. ذلك العمل.. يكاد ينتهي.

ـ لا بد أنه كان مثيراً.

وكأن جاك أدرك أنها تود تغيير الموضوع فتابع كلامه عن عمله، وأمضيا ساعة كاملة يسليها بأحاديثه عن جولته، وأنهى كلامه:

ـ العمل كان رائعاً، وكأنه لعبة، لكن لو كان لدي العارضة الملائمة.. عرضي لك مازال قائماً!

ـ ما إن تنشر أعمالك المجلة حتى تجد عشرات النساء يتحلقن حولك للعمل معك... أود رؤية بعض صورك.

ـ سأريك إياها حالما أنهي تظهيرها.

ـ هل أنت واثق من رغبتك في رؤيتي ثانية؟

ـ ما هذا السؤال السخيف؟

ـ لأنني لا أرى السبب.. لو علم رون أنك تصل بي...

ـ انسي هذا، نعم أنا صديقه، ولكنني صديقك أيضاً.. أليسا.. أنا صديقك.. لا تنسي هذا.

تلك الليلة نامت أليسا أفضل حالاً، لأنها عرفت أن هناك شخصاً آخر غير العمة موفن ببرائتها.

لم تتوقع أن يتصل بها جاك رغم تأكيداته، لكنها فوجئت عندما اتصل بها في مكان عملها بعد ثلاثة أيام.

قال دون مقدمات:

ـ ثمة ما أريد أن أريك إياه. اركبي تاكسي وتعالي حالاً.

ـ لن أستطيع، فأنا أعمل.

ـ هذا أمر هام أليسا.. قولي للمدير إن عمتك تحتضر أو أي شيء من هذا القبيل! لكن تعالي فوراً!

ـ لماذا؟

ـ لأريك بعض الصور. فقد تكون الدليل الذي تبحثين عنه.

أعادت السماعة الى مكانها بيد مرتجفة، وأسرعت تفتش عن المدير الذي لم تجد صعوبة في اقناعه، خاصة بعد أن رأى شحوبها واضطرابها سألها بلطف:

ـ أتودين أن ترافقك إحدى الفتيات؟

ـ لا.. لا.. سأتدبر أمري.

تركت المحل، ونادت سيارة، ذاكرة لسائقها عنوان جاك. ما هي هذه الصور التي قد تساعد على اثبات براءتها؟ دار السؤال مراراً وتكراراً في ذهنها بالحاح، مما دفعها الى أن تميل الى الامام لتقول للسائق متوسلة:

ـ اسرع أرجوك.. اسرع!

* * *

حين وصلت أليسا الى باب استديو جاك المدهون باللون الاسود، وجدته مستنداً الى قائمته المفتوحة.

ـ عظيم! ادخلي وانظري الى هذا.

قادها عبر الصالون ومنه الى الاستوديو، كانت المصابيح المضاءة تضفي لمعاناً براقاً على الجدران البيضاء وعلى خلفيات التصوير الملونة. في الزاوية طاولة موضوعة قرب ماكنة الاشعة المجففة للصور. وعليها مجموعة من الصور ما تزال تلمع من البلل. قال لها:

ـ انظري الى هذه.

عندما حدقت في الصور لم تستطع كبح شهقة سعادة وهي ترى صور رائعة لباريس، وروما، وستوكهولم ولندن. فقال بنفاد صبر:

ـ لم أقصد هذه.. بل هذه!

تحركت الى حيث يقف، ونظرت الى صور لمدينة نيويورك.. أمباير ستايت، مبنى كرايزلر، وول ستريت فيفث أفنيو، ماديسون سكوير، سانزال بارك، ريفرسايد. كلها تتنافس لتعطي جمالاً أكثر من الأخرى.

ـ إنها رائعة.

ـ لم أحضرك الى هنا لأريك روعتها، أريد أن تنظري الى هذه!

فانحنت لتنظر الى صورة التقطت بيده كانت تظهر شارع فيفث أفنيو الذي يحتوي على محل التحف الأثرية الشهيرة. انتفضت لأنها أدركت أنه الشارع الذي اشترى تاجر التحف التمثال فيه.. فتراجعت وقلبها يخفق، فقال لها:

ـ امعني النظر.

ـ الى ماذا؟ هل سأرى التمثال في الواجهة؟

وأمعنت النظر، فشاهدت سيارة كاديلاك واقفة، خلفها سيارة سباق صغيرة، وامرأة كهلة تجر كلباً، فرفعت رأسها:

ـ لقد نظرت، ولم أجد شيئاً مميزاً.

ـ انظري ثانية.

وأشار الى مدخل المحل. أحنت رأسها ثانية فشاهدت صورة امرأة تخرج لتوها من باب محل التحف.

قال جاك:

ـ هذه الصورة التقطت في اليوم الذي بيع التمثال.

ـ مع ذلك لا أفهم.

ـ ستفهمين بعد لحظات.

تناول من الخلف صورة أخرى.

ـ هذه الصورة نفسها كبّرتها ثلاث مرات. تظهر صورة المرأة أوضح نعم هي مشوشة قليلاً، لكن ما من شك في أنها ترتدي معطف فرو.

فحبست أليسا أنفاسها:

ـ ماذا تحاول أن تقول؟

ـ أحاول القول إن القدر جعلني أجول في هذا الشارع، وهذه الزاوية منه، في اليوم نفسه الذي بيع فيه التمثال، وليس هذا فقط بل في اللحظة التي خرجت فيها المرأة المرتدية المعطف الفرو من المحل.

ترك الصورة ثم أمسك بكتفيها:

ـ ألم تفهمي ما أعني أليسا؟ إذا استطعت تكبير هذه الصورة أكثر من هذا قد نتمكن من رؤية وجه المرأة.

بعد دقائق من الصمت استقر معنى كلماته في رأسها.. ثم صاحت صيحة فرح:

ـ أوه جاك. ليتك تستطيع!

ـ هذا يعتمد على وضعيتها. فإن حركت رأسها عندما التقطت الصورة، فستبدو عندها مبهمة.

ـ متى سنعرف؟

ـ خلال دقائق. سأعود الى غرفة التظهير لأعمل عليها.

اختفى داخل باب الغرفة، في حين أن أليسا راحت تذرع المكان قلقة.. مر الوقت ثقيلاً، وكأنه يدفعها الى الجنون، وكادت تصرخ

يأساً حين ظهر جاك من الغرفة المظلمة، وصورة مبللة في يده.

وضعها على الطاولة، وانحنيا معاً فوقها. فأحست أليسا بالغثيان من خيبة الامل. لم يعد الآن أي شك في أن المرأة التي تلبس الفرو هي نفسها، لكن الوجه مختبىء خلف نظارات عريضة. بحيث يستحيل التعرف إليه.

فاختنق صوتها واستدارت:

ـ أوه.. جاك.. لا فائدة. فهذه إما أنا وإما شخص آخر.

ـ لست واثقاً بعد.

نظرت إليه فوجدته منحنياً فوق الصورة يبحث فيها بدقة عبر عدسة مكبرة في يده. وقال لها:

ـ تعالي وانظري الى الساقين.

ففعلت. كانت الساقان نحيلتين، لكنها لم تفهم ما يعنيه جاك.

ـ انظري عبر العدسة المكبرة.

نظرت أليسا مجدداً، وتوقفت أنفاسها في حلقها. فتحت الجوربين الشفافين كانت ملامح آثار جروح بشعة شاهدتها من قبل... شهقت مستديرة الى جاك:

ـ إنها جولي فيلد! لم أفكر من قبل في شقيقة جايمس!

ـ كان يجب أن تكون المشتبه البديهي!

ـ هذا صحيح وجولي ليست ممن تملك معطف فرو.

ـ إنه ليس معطفها أليسا.. بل معطفك.

يا لغبائها، لماذا لم ترتب في الامر؟ ما من شيء أسهل على جايمس من أخذ المعطف من غرفتها ومن إعادته ثانية دون أن يلاحظ اختفاءه أحد. تابع جاك:

ـ الامر واضح. عندما عرف جايمس أن دوروثي لا تملك المال، بدأ يخطط لهذا. وما من شك في أنه أرادك أن تكوني أنت كبش المحرقة.

فارتجفت أليسا:

ـ يا لدناءته!.. مسكينة دوروثي، سيحطم الخبر قلبها.

ـ لا خوف عليها ستتخطى الامر بسهولة. فهي صغيرة، أما أنت فمن أشعر بالقلق عليها. سأعرض هذه الصورة على رون.

ـ لن يغير هذا شيئاً.

ـ ولِمَ لا؟ إنه ما يزال يحبك.

ـ ربما.. لكنني لن أعود إليه أبداً مهما توسل.

ـ رون لن يتوسل أحداً أبداً.

ـ وهذا صحيح.. فأكثر ما قد يقوم به اعتذار بسيط وكأنه ارتكب هفوة في تقرير سنوي للشركة! لكنني لا أريد اعتذاره. بل أريد ثقته بي.

ـ حسناً.. إذن لن تلتقيا أبداً على هذه الحال. لكن رغم ذلك سأعرض عليه الصورة، وأنا أعرف رون... ما إن يرى الصورة حتى يسافر الى المكسيك، ليرد الى دوروثي صوابها، بعد أن يريها الصورة أيضاً. لا تقلقي على دوروثي، فجايمس ليس نذلاً فقط، بل سارقاً محتالاً.. وقد أثبت أن ما من شيء يمنعه من الحصول على ما يريد والله وحده يعلم ما قد يفعل عندما يحتاج الى المال ثانية.

ـ إذن سارع الى عرض الصورة على رون.

حالما خرج جاك من الاستوديو، عادت الى غرفتها المستأجرة. فحزمت حقيبتها، ونقدت صاحبها اجرة الاسبوع، وحجزت لنفسها غرفة في فندق بسيط في أحد شوارع بركلين المتواضعة. ثم اتصلت بالمدير قائلة إنها لن تتمكن من العودة بسبب خطورة مرض عمتها.

بعد يومين، وجدت وظيفة في مقهى، وانشغلت في عملها الجديد بحيث لم يعد لديها الوقت للتفكير. صحيح أن العمل هنا أقسى بكثير من العمل في المكتبة، إلا أن الجو هنا جميل والهواء عليل. وقد استطاعت مع الايام أن تضحك قليلاً رغم البؤس الرازح

في عينيها.

حاولت النسيان لكن الصحف جعلت النسيان عليها مستحيلاً، فقد قرأت في جريدة مسائية أن رون سافر الى المكسيك في رحلة عمل.. ثم ذكرت الصحيفة ذاتها بعد يومين أنه عاد وشقيقته من عطلة قضتها مع فتان صديق وشقيقته. ولم تستطع أليسا إلا الابتسام بمرارة على وصف المجلة لجايمس وجولي فيلد.

بعد معرفتها بعودة دوروثي سالمة، علمت أن علاقتها بعائلة آردين قد أتمّت دورتها كاملة، وما هي إلا بضعة أشهر حتى راحت تمضي أياماً طويلة دون التفكير فيهم. تملكها توق للعودة الى شقتها لكنها قررت الانتظار حتى عودة إيريكا من السفر، لتتمكنا من العيش معاً في شقتها القديمة... وعندها سيكون الوقت قد أزف لتلتقط خيوط حياتها من جديد.

في الواقع، لم تشعر سوى بالمرارة من ذكر الماضي.. فكل ما عداه من مشاعر جفت من نفسها، ومع إنها كانت تخرج في بعض الاحيان مع الفتيات العاملات معها، إلا أنها كانت تحس بأن ظلها هو الباقي حيا... وإنها هي... في أساس كيانها، بعيدة عن الجميع. ربما في يوم من الايام قد يجتمع النصفان معاً، فتعود عندها امرأة كاملة، تقدر على الضحك بشفتيها، وعينيها وقلبها.

لكن صورة غير متوقعة في صحيفة أحبطت آمالها كلها.. صورة رون وساندرا ضاحكة. الغبرة جعلت الصينية التي تحملها لأحد الزبائن تقع أرضاً.

بعد أيام قليلة شاهدت صورة أخرى فيها رون وجماعة من الناس والى جانبه أيضاً ساندرا تتأبط ذراعه، وقد ظهرا في الصورة مبتسمين بمودة لبعضهما بعضاً. إذن هو دون شك لا يبحث عنها اطلاقاً. فالصورة دليل على أن رون نسي الماضي نهائياً!

كتبت رسالة الى إيريكا تقص عليها فيها بعضاً من مشاعرها،

وكان الرد صدمة لها.

«ساندرا ليست المرأة الوحيدة التي يعني لها الحب شيئاً واحداً، فأنت مثلها! إنما بطريقة مختلفة، لكن لكما التصميم ذاته. بالنسبة لك الحب يعني رون. لذا أنت لا تصدقين أنه في بضع سنوات أو أقل قد تحبين رجلاً آخر، فأنت مصممة على العيش بقية حياتك في حزن على ما كان يجب أن يكون.

سينتهي بك الامر أخيراً الى الضجر والسأم. إذا صممت فعلاً على عدم مسامحته لأنه اتهمك بالسرقة، فواجهي الوضع وانسيه الى الابد بعد أن تعتبريه ماضياً انتهى ومضى، ثم ركزي على المستقبل وابدأي حياتك من جديد».

مزقت الرسالة بغضب ثم رمتها.. لكنها لم تستطع نزع ما تحتويه من ذهنها... وحين راحت تحلل تصرفاتها في الاشهر المنصرمة وجدت أن إيريكا على حق، وأنها بالفعل تهدر حياتها سدى.

فكان أن قررت الخروج الى الحياة.. وغطست كالسابح في النشاطات! مسارح.. سينما.. معارض.. متاحف.. شاغلة بذلك أوقات فراغها كلها... لكن مشاعرها بقيت على حالها، لم تحس وقد شعرت في أحيان كثيرة أنها باردة كالثلج، بعيدة كل البعد عن الجنس البشري.

كادت تقلع عن جهودها في العودة الى الحياة، لولا اعلان قرأته في الصحيفة عن اوبرا جديدة.. فالموسيقى هي الشكل الوحيد من أشكال المشاعر التي تحسها، والاوبرا هي المكان الذي تنسى فيه حزنها أمام حزن موسيقى موزارت، فيردي، وبوتشيني..

جلست أليسا في مقعدها بين فتاة سوداء مشعثة الشعر وبين رجل كهل ضئيل الجسم، تجبر نفسها على التركيز على الاوركسترا التي كانت تعد نفسها للانطلاق.. توقفت دندنة الآلات الموسيقية ورفعت الستارة كاشفة عن المسرح المظلم. ثم تدريجياً طفى جمال الموسيقى

على مشاعرها، مخففاً مرارة الذكريات بحيث استطاعت التمتع بأصوات المغني العذبة التي أعادتها الى أزمنة بعيدة. وما أن انتهت آخر النغمات، حتى أحست أليسا بأن شخصاً ما يراقبها، فنظرت حولها بسرعة تبحث عن أقرب مخرج. لاحظت في هذه الظلمة أن رجلاً يقف بالباب، لكنه كان بعيداً عنها، فلم تتعرف إليه. بينما كانت تنظر إليه، خطا جانبياً واختفى، فأعرضت عن الباب الى المسرح. لكن العرض أمامها بدا وكأنه في زمن يبعد كثيراً عن وعيها.. فبدلاً من البطل تراءى لها رون.. وسمعت خفقان قلبها المرتفع الى أذنيها يدوي حتى كاد يغطي على أنغام الموسيقى.

أسدلت الستارة بعد الفصل الأول من الاوبرا وسط عاصفة من التصفيق.. وأضيئت الانوار، فأعادت أليسا البصر ثانية الى المخرج. فلمّا وجدت أن الرجل اختفى تنهدت بارتياح ثم نهضت واتبعت الحشود الى الخارج طلباً للهواء العليل، حتى يبدأ الفصل الثاني.

ضغط مفاجىء من يد قوية على كتفيها سمّرها في مكانها كتمثال حجري، بقيت جامدة دون حراك، يحيل بينها وبين باب الخلاص شخص.. إذن لم يكن ما شاهدته قبل قليل محض خيال...

رفعت بصرها ببطء فإذا بها وجهاً لوجه أمام رون آردين الذي تحول لونه الى الرمادي.

ـ لقد وجدتك أخيراً... فلنخرج من هنا.

فتحركت الى الخلف، لكن أصابعه أحكمت إمساك ذراعها فقالت:

ـ لا.. اتركني يا رون... ليس عندي ما أقوله لك.

ـ أما أنا فعندي الكثير الكثير لأقوله لك. فهل ستأتين طوعاً أم أحملك؟

شوقها الى أن تكون لينة معه اصطدم بغضبها على تصرفاته، فقالت بحدة:

ـ أنت هنا لست في قاعة اجتماع مجلس ادارتك! لذا أنا لست مضطرة لاطاعة أوامرك. وإذا لم تتركني فسأصرخ!

ترك ذراعها ببطء.. فارتدّت الى الخلف ثم ركضت عائدة الى الداخل.. دون أن تلتفت أحست بأنه يتراجع ليتزل السلم. منعتها كبرياؤها من اللحاق به، رغم الشوق العظيم الذي كان يدفعها الى أن تركض خلفه..

لم تذكر أليسا بعد ذلك شيئاً من الاوبرا. لم تسمع نوتة موسيقية واحدة.. فاسم «رون» كان يدوي في رأسها أعلى فأعلى حتى ظنته سينفجر.. وقبل رفع الستارة الختامية في الفصل الأخير عرفت أنها لن تصمد على هذا النحو لحظة واحدة أخرى.

عند المدخل صفعتها ريح حادة، جعلتها ترتجف فكان أن رفعت ياقة معطفها اتقاء للبرد وانطلقت في الشارع. وما أن حثت الخطى حتى خرج شخص من إحدى الزوايا المظلمة ليلحق بها، وإذا بها تسمع رون يقول:

ـ لن يجديك الصراخ نفعاً الآن.

فأغمضت عينيها يائسة، لو كان لديها بعض الادراك السليم لخرجت من باب آخر؟ لكن كيف لها أن تعرف أنه ينتظرها خارج المسرح؟

فجأة أدركت مدى سخف الاستمرار في الفرار منه، ففتحت عينيها لتنظر إليه.

ـ إخلاصك مؤثر يا رون.. لكنني لا أرى أن هناك شيئاً قد يُقال.

هبت ريح باردة أخرى من زاوية الشارع، باردة كصوتها. فشاهدته يرتجف ويضع يديه في جيبي سرواله. عندها لاحظت أنه لا يرتدي معطفاً، كما لاحظت أن وجهه متجعد من البرد وعيناه تلمعان بشكل محموم. فصاحت دون ارادتها:

ـ أنت دون شك تكاد تتجمد برداً.

www.liilas.com

هبت ريح أخرى فضربتهما.. فقال بسرعة:

ـ بما أنني وجدتك، فسأكون سعيداً بأن انتظرك الليلة كله في الصقيع.. وبما أن سيارتي عند المنعطف فلماذا لا نتابع هذا الحوار داخلها؟

تركته يقودها الى حيث سيارته. فتح لهما السائق الباب فدخلتها لتجلس في الزاوية بعيداً عن رون، الذي قال للسائق:

ـ قد السيارة عبر البارك.

ثم استدار لينظر إليها:

ـ أعرف انك تكرهين منظري.. لكن على الاقل امهليني بعض الوقت للاعتذار.

ـ إذا كان هذا يجعلك تحس بأنك أفضل حالاً، فسأقبل اعتذارك! والآن لو سمحت أوقف السيارة، فأنا أود النزول منها.

ـ أمازلت هاربة؟ هذا آخر ما كنت أتوقعه منك أليسا.

ـ لطالما فعلت ما هو غير متوقع. ولا أظنك كنت تتوقع أن أكون سارقة.

فصاح بصوت مخنوق:

ـ لا تقولي هذا! أعرف مدى مرارتك. لكن الاشهر الأخيرة كانت جهنم بالنسبة لي.

ـ بالنسبة لك؟

وضحكت ساخرة، ثم راحت تمعن النظر فيه بصمت... فأخذ يفرك أصابعه المتجمدة.

ـ منذ أن أراني جاك تلك الصور.. وأنا أعيش في الجحيم.. لم يستطع أحد أن يجدك، لا الشرطة ولا المؤسسات الخاصة الثلاث، حتى بدا لي أنه يستحيل أن يختفي شخص ما هكذا. لقد ظننتك انتحرت!

ـ وما الذي جعلك تفتش عني في الاوبرا؟

ـ إنها فكرة دوروثي. رمية من غير رامي لا أصدق أنها أصابت الهدف. عندما فتشت الصفوف فشاهدت شعرك الذهبي البرّاق في الظلام...

وتهدج صوته، فأعرض بوجهه عنها.

وبدأت عواطف خائنة، دافئة، تذيب الحاجز الجليدي الذي رفعته حول نفسها للحماية. لكن مرارتها منعتها من رمي نفسها بين ذراعيه... وسألته بحذر:

ـ كيف حال دوروثي؟

ـ لقد أصبحت أكثر حكمة، لكن أكثر تعاسة. فبعد أن أراني جاك الصورة، طرت إليها. وما إن عرفت الحقيقة، حتى حزمت أمتعتها وعادت معي.

فتنهدت أليسا:

ـ مسكينة دوروثي.

ـ أظنها كانت على استعداد لمسامحة جايمس على سرقة التمثال، لكن عندما عرفت ما فعله بك، وأنت من أنقذت حياتها، انتهى أمره بالنسبة لها.. عندما ستحب من جديد ستُعنى جداً في انتقاء رجل من نوع مختلف تماماً.

فضحكت أليسا ساخرة:

ـ رجل يوافق عليه أخوها دون شك.

فنظر إليها بحزن:

ـ تكرهينني.. أليس كذلك أليسا؟

ـ أكرهك.. لا أبداً. لكنني أجد صعوبة في نسيان رأيك الوضيع بي. ما كنت لأصدق أبداً أنك قد تكون لصاً.

ـ ولم أصدق هذا عنك أيضاً. على الاقل ليس بعد أن ثُبتُ الى رشدي. وهذا كان في الصباح التالي. لكنك كنت قد رحلتِ. اتصلت بوكالة تحريات، لكنهم لم يتمكنوا من اقتفاء أثرك. ولم أعرف

www.liilas.com

مكانك إلا عندما جاء جاك يعرض عليّ الصور، إلا أنك عدت الى الاختفاء.

ـ أتعني أنك كنت تبحث عني حتى قبل أن ترى الصور؟

ـ بالطبع.. لولا حبي الكبير ولولا غيرتي الفاتكة لما صدقت رسالة جايمس، لقد ثبت الى رشدي في اليوم التالي، إنما بعد فوات الأوان.

ـ إذن لماذا لم تقل شيئاً عني لجاك؟ قال إنك لم تتحمل سماع اسمي.

ـ لأنني كنت أكره نفسي الى درجة جعلتني لا أستطيع التحدث عنك مع أي كان. أوه ألبسا!

انحنى نحوها ليمسك بيدها وأردف:

ـ أعرف أنك تحتقرينني على شكي فيك. لكنني سأمضي بقية عمري أعوض عن هذا.

معرفتها بأنه توقف عن شكه قبل وقت طويل من رؤية صورة جاك، أذاب كل مرارة في نفسها. فتحركت الى ذراعيه، ووضعت رأسها على كتفه.. كان يرتجف بعنف.. فتذكرت أنه وهو الواثق بنفسه، الفخور بعنفوانه ما كان ليتوسل الى أحد مهما كان.

فقالت مرتجفة:

ـ لا تكن ذليلاً هكذا يا حبيبي.. لقد سامحتك.

ـ سأصدق هذا فقط عندما تصبحين زوجتي.. لقد أضعنا الكثير من الوقت!

فهمست وهي لا تصدق ما تسمع.

ـ زوجتك! متى يا رون؟

ـ ستتزوج بإذنٍ خاص.. فلدي واحد في جيبي.

ـ وماذا عن أعمالك؟

ـ أنت كل أعمالي! ما عداك لا أهمية له.

كانت كلمات لم تتوقع أن تسمعها منه، فجذبت وجهه إليها تمسح وجنتها بوجنته.

ـ ثمة ما نقوله يا رون، ولا أدري من أين نبدأ.

ـ رويدك حتى شهر العسل، والآن ثمة شيء واحد استطيع عمله.

لم يكن بحاجة الى قول ما هو. فضغط ذراعيه الدافئتين بعد طول برود أخبراها ما تريد معرفته... وأخيراً أصبح مستقبلها آمناً... فالسعادة هنا... بين ذراعيه.. والى الابد!

* * *

www.liilas.com